الشَّفَقُ الأَخِيرُ
The last Twilight
تأليف قيس الدَّغمشي

اسم الكتاب: الشفق الأخير

تأليف: قيس الدغمشي
تصميم الكتاب: فاطمة فتّوح
سنة النشر: 2026

© جميع الحقوق محفوظة
للمؤلِّف،
ولا يُسمح بأيّ نسخٍ أو اقتباسٍ
من الكتاب دون إذنٍ مسبقٍ منه.

إهداء

قد فكّرت طويلًا لمن أُهدي هذا العمل، فلم أجد أحقّ من والديَّ، ولا أحنّ من إخوتي، ولا أقرب من عائلتي.

فلن أجد، ولن تجد أنت عزيزي القارئ، حبًّا مجانيًّا إلّا في المحيط الذي ذكرتُ، فهنا فقط يذوب كلُّ شيءٍ وينصهر في اللامقابل.

أمّا عن رفيقَي طريقي، فلن أتكلّم عنهما؛ لأنّ النصّ قصير، والحديث يطول...

معتصم داوود ومحمد نصر الله،

لكلّ ما أسلفتما، لكم ودّي واحترامي وإخلاصي ما أحياني ربّي، وما قُسِم لي من أيّامٍ، إلى أن يحين القضاء.

مقدمة...

..جميعُنا يتمنى لو عاد بنا الزمنُ الى مكان ما.. لنُعانق أرواحا لم تعد موجودةً بيننا.. أو على الأقل لنغير بعض الأحداث علها تغيرُ بطريقة ما حاضرنا ومستقبلنا لكن الحياة لاتعطينا الطريق لنسلكهُ مرتين.. والندوب التي حُفِرت في وجدانِنا ماكانت لتزهر أبداً.... فَكُلٌ مِنا قد انقَسَمَ الى جَسدٍ وظِلْ أما الجَسد فيعيشُ واقِعهُ بِكُلِّ مافيهِ من فَرحٍ ومَشقة وأما الأخيرُ فَيُنقِبُ في أحلامه عن جُرعةِ مورفين تُسكِتُ أنينَ الذاكرة وتستَرجعُ أنصاف صُورٍ مُحطمة كباحِثٍ في سراب الصحراء عن شُربةِ ماء...فإن استطعتَ أن تنجو فحافظ على إنسانيتك ما استطعت الى انسانيتك سبيلاً.

إذا أردت الحُريَّة.. بإمكانك أن تعبُرَ المجرات واذا ماأردت القيد فأنت أقربُ ماتكونُ إليه... كانَتِ الساعةُ قد تجاوزت الثانيةَ والنصف بعد مُنتصفِ الليل، نهض أُسامة الذي لم يبلغ الثالثةَ عشر، من فراشه والأفكارُ لا تزالُ تتصارعُ في مُخيلتهِ الصغيرة التي بالكادِ نجت من كوابيسِ تلك الليلة..

مَشى الفتى بِخَطواتٍ مُثقلةٍ خَجلة يَقصُدُ البابَّ الذي عانَقهُ الزمن، وتَرَكَ عليهِ ندوبَ أيامِه الطويلة..

وبعدَّ ترددٍ للحظات طرقَ أسامة البابَّ ليرتدَ إليهِ الصوت في جوِّ الغُرفةِ المظلم، وما هيَّ إلا لحظات حتى أضاءَ ظلامُ قلبِهِ بصوتِ أُمه..

ما الأمرُ يا أُسامة ألا زالت تِلكَ الكَوابيسُ تُطارِدُك!! ومن دُونِ أدنى تَردُد مشت الأُمُ نحوهُ مُتلعثمةً بمشاعِرها المكسورة...بُني لاوجُودَ لِهذهِ الأشياء التي تَراها، إنها مُجَردُ أوهام فقط لاتَخف.

ردَّ أُسامة بنبرةٍ لاتَكادُ تُسمع بعدَ أن بللت الدُموعُ وجنتيه

أُمي أنا خائف خَائفٌ جِداً إنَهُم في كُلَّ مكان... إهدأ ياوَلدي إنها مُجردُ أحلام، سيكونُ كُلُّ شيٍ بخير..

أرسَلَ كَلامُ الأُ الأملَ من جديدٍ في نَفسِ أُسامة.. وكالعادة فقد كَانت ليلةً طويلة من ليالي شِتاءِ ذاك الحيِّ القديم.. تنتهي مَشقَتُها بِحُلولِ الصَباح.. هَكذا تعتادُ النَفسُ المَشقةَ والألم حتى يُصبح كُلُّ شيٍ مَحضُ عادة... رُبما كانَ أسوَءُ مافي الأمر أن نعتاد...فتَخمُدُ شُعلةُ الروح وتُصبِحُ السفينةُ قُطعةَ خَشبٍ يتقاذَفُها الموجُ أنى شاء..

انقشع غَمامُ تلك الليلة وثناها أُسامة مع كُلِّ خَطوةٍ يمشيها إلى مَدرسته.. كانَّ الطريقُ مرصوفاً بحجارةٍ سوداء وقد تخللها شئٌ من الجصِّ الأبيض رُبما عكست صورةُ الحجارة في لاشعور أُسامة فِكرةَ الحدود.. فَهل نُولدُ وتُولدُ معنا حُدودُنا وأقفالُنا، أم أن قانونَ الحياة هو من يبني الأسوار ويجعلُنا حبيسي تصوراتٍ وأفكارٍ مُعلبة عن كُلِّ شئ...

في هَذهِ الأثناء كانَّ هُناك صوتٌ بدأ يعلو شيئاً فشيئاً

لم يَسمعهُ أُسامة في بادِئ الأمر، لَكن اذا كان المُنادي أبا أسعد فلا بُدَّ أن يخترِقَ الصوتُ طَبلةَ أُذنيك، هيي أُسامة.. استمرَّ أبا أسعد في النداءِ وأضاف.. لما لا تعمل معي.. أنت أفضَلُ من أسعد انهُ بدينٌ ولا يَصلحُ إلا للأكل

ثُمَّ إن الدراسة أصبحت مُمِلةً هذه الأيام.. سَمعتُ أنهُم مَنعو الضرب... واكمل ابا أسعد.. وهل ينقُصُنا لصوص وكيف سيخافُ الأولاد.. تعالال لقد فَشلت المَدارس..

. أما أُسامة فردَّ بابتسامةٍ صغيرة كانت تعني لأبي أسعد الكثير ذاك الرَجُلُ الطيب عريض المنكبيم قصير القامة يُحِبُ الجميع والآخرين بدورهم يُبادرونهُ نفسَ الشُعور رُبما هيَّ أيدلوجيةُ البيعِ من يُحتمُ على صاحِبها سلوكاً معيناً فيُصبِحُ رهينهُ.

المدرسة..

(المعلم جُرجُس)

دخلَ أُسامة مُسرعاً بينما استمرَّ المُعلم جُرجس إلقاء خطابهِ الذي يموجُ كيفما ماجت الأحول ولكن بالنسبةِ للطُلاب هذا لايَهُم فأقصى مايتمنونهُ أن يُغلقَ فَمهُ ويدخلوا..لكن هُناك أمرٌ مُلفت تأخرَّ الاجتماعُ الصباحي واستمرَّ المُعلمُ بالكلام عن الإطرابات التي تعصُفُ في البلاد،حتى ظَنَّ الجميعُ أن الدوامَ سيُعلقُ اليوم، ثُمَّ صمت قليلاً ونظر الى الطُلاب وكأنهُ يبحثُ عن شئٍ ما... أُسامة... نادى المُعلم وتابع.. أُسامة سيف..

خَرج أُسامة من النسق ومشى باتجاهه، ثم قال بنبرةٍ لا تكادُ تُسمع.. أنا آسف لم أقصد التأخر ولكن...

لا لا أنا من يجبُ أن يعتذر منك قال المعلم جرجس

وتابع.. لا نستطيعُ أن نستقبلك بَعدَ اليوم.. أنت تعلم أن مدرستنا ليست كأيِّ مدرسة، كما أنهُ لم يَعُد خفياً على أحدٍ مافَعلهُ والدك.

اسمع يا أُسامة.. تستطيعُ أن تلتحق بأيِّ مدرسةٍ أُخرى فأنت طالبٌ نجيب ولكن على احدٍ أن يدفع ثمن مايفعلُهُ الآخرون.

كان الذُهولُ بادياً على أُسامة الذي بالكادِ يُلملِمُ نَفسهُ في المواقف العادية، فكيفَ إذا كانت "طرد" وعلى مرأى الجميع.. أحسَّ المُعلم بفظاظته فتقدم مُحاولاً أن يُرمم الموقف بكلامٍ معسول لا يُسمن ولا يُغني، وقبل أن ينطق.. نادت المُستخدمة.. حضرت المُدير.. هُناك ضيفٌ، يقولُ أنهُ أبا رهف.

وبينما لم تُكمل المستخدمةُ جُملتها، ردت قدما جُرجُس قبل لسانه.. فأسرع إليهِ وكأنهُ ضيفٌ سماوي يتملقهُ في عينيهِ كمن يستجدي الوِدَّ من إله.. وللمُفارقة.. لم يكُن أبا رهف بمفرَدِه،بل كانت تُرافِقُهُ ابنتُه.

سيد أبارهف.. قال جُرجُس.. قد حللتَ أهلاً ووَطِئتَ سَهلاً.

اكتفى أبارهف بابتسامةٍ صفراوية كَردٍ على حَفاوةِ التملُق..

أما أُسامة الذي اعتادَّ ألا يُغادِرَ حتى يَأذَنَ لهُ أستاذه.. فظَلَّ ساكناً يُشاهِدُ بقلبِهِ مالا تَراهُ عيناه.. كيف سَيعود وماذا سَيُخبِرُ أُمه والى من سيلجَأ بعدَّ هُروبِ والِدِه بسبب التُهمِ الكثيرة والتي تَصُبُ كُلُها في قضيةِ الخيانةِ العُظمى.

أهلاً حضرتَ المُدير.. قال أبا رهَف.. قد وعدتني بِمقعدٍ لإبنتي رَهَف في مَدرستك

كانت رهف ممشوقَةَ القَوام زرقاء العينين تُغطي ظفائِرُها الشقراء شيئاً من كتفيها أما مُحياها الأبيض فقد زينَهُ رذاذٌ من النمش، وبالنظرِ لإحمرارِ خَديها فيعودُ لملابِسِ الفَروِّ الدافِئة.. إلا أنَّ عيناها وَقعت على أُسامة، الذي كان قد قضَّبَ حاجبيه، وهوى يُحَدِقُ في المكانِ لآخرِ مرة.. رُبما كُلنٌ طَرقَ لاشعورَهُ مايَنقُصه.. ..قاطَعَ زَحمةَ الأفكارِ كلامُ جُرجُس.. على الرحبِ والسِعة رهف تأخُذُ المدرسة

إن لم يُعجبها مقعد...

لاقى كلامُ المُدير استحسان أبا رهف فردَّ بقهقةٍ شاركهُ بها المُديرُ والمُستخدمة وان لم تعرف السبب..

أما أُسامة الذي أيقَنَ أنَّ الأمرَ قد قُضي فقد هَمَّ بالمشي بخطواتٍ ثقيلة كمن ينتزعُ جُذورَهُ من باطِنِ الأرض..

هُروب

اقتربت الشَمسُ من قُبةِ السماء،وذاكَ خَبرٌ ليسَّ بالجيد بالنسبةِ لِ سيف الذي كانَ يعتَصِرُ ماتبقى من عَرقٍ في جَسدِهِ النحيل وقد مضى يومٌ أو يومان وهوى يَسُلكُ الطريقَ الصحراوي ورَبما حُروقٌ وجهه تَقولُ أكثرَ من ذلك. كان هُروبُهُ كمن يَهربُ من موتٍ إلى آخر، والساعاتُ القليلةُ القادمة كَفيلَةٌ بِكُلَّ شئ، هُنا تتحولُ أقصى أُمنياتك أن تبقى حيَّاً حتى تغيب الشمس، فإذا غابت تُعطيك الأحلامُ كأساً من حياة.لكنهُ كأسٌ بطعمِ الزمهرير، فالصحراءُ مِثلُنا في بعض الأحيان لا تعرِفُ أنصافَ الحُلول.

أفكارٌ كثيرة تتصارع وتنتهي بهلوساتٍ ورداتِ فعلٍ عصبية

لكن ما الأفضل.. يقولُ سيفٌ في كينونةِ نفسه.. أن تموت كَرجُلٍ أمام زوجتك وأهلك فيكونُوا آخر ماتراهُ من الدُنيا

أم أن تموتَ هُنا غريباً وحيداً

وتُعطيهم أملاً كاذباً بالرجوع

لاشئ أفضَلُ من شئ أحياننا تتساوى المآسي لَكنَّ القَدر دائِماً يختار..

.. يبدو أنهُ هُنا مَوطِنُ الموت

قال سيف... لحظة.. موطن!! وهل للموتِ وطن.. الموتُ شقيقُ الحياة وحيثُ يوجَدُ أحدُهما لزم عنهُ الآخر... كان سيف قد بدأ يتكلمُ بصوتٍ مُرتفع فالنفسُ ماهِرَةٌ في استعمال آلياتها الدفاعية عَلها تُعطي شيئاً من الأُنس.. لا يُمكِنُ أن أموتَ هُنا، هذا ليسَ منطقياً، هههههه هل قُلتُ منطقياً هههه وهل يوجَدُ منطِقٌ في الحياة..رُبما انتهى كُلُّ شئ ورُبما كان قد انقضى لكننا نرفُضُ قبولَ الحقائق هكذا نحن نُكابرُ حتى على أنفُسنا...جثا سيفٌ على رُكبتيه وانهارَ باكياً كَطفلٍ فقد أُمهُ فأغلق عينيه لإنكار الحقيقة... كانَّ السُقوطُ سيدَ الموقف والنَدمُ سُوطٌ الذي لا يرحم.

حي السبكي

أنتِ بطيئةٌ جداً يا" مادلين" اقتربَ موعِدُ الضيوف، لا أُريدُهم أن يأتوا ونحنُ مُنشغلين.. قالت مدام انجل..وأضافت.. أنا أُعطيك أجرَّ عامِلين.. لاتُجبريني أُخبر رامزي أن يخصِمَ من أجرك.

و مايُعرفُ عن مدام انجل أنها حادَةُ الطِباع، حتى أثرت حدتُها في شَكلها فهيَّ نحيلةٌ جداً كما أنها سريعةُ الغضب من أتفهِ الأُمور، وللمُفارقة تَظُنُ أنها تُجسدُ الطبقة المخملية أسوةً بالطبقات النبيلة في أوربا..الا أنها لاتُجسد إلا أفعى المومبا السوداء...

وبعد تنهيدةٍ طويلة وغصةٍ لم يشعُر بها أحد.. هزت مادلين رأسها وقالت دون أن تنظر إلى مدام انجل.. سيكونُ كُلُّ شيءٍ كما ترغبين ياسيدتي.

رُبما رِغبت "انجل"بأن تنحز مادلين العملَ بأقصى سُرعة ليس من أجلِ الضيوفِ فقط بل من أجلِ زوجها أيضاً فمادلين في ملامِحها الهادئة وعينيها البراقتين لا تُشبِهُ إلا رواياتِ الثلجِ والنار وذاك مالايستطيعُ تجنبهُ شخصٌ مثل رامزي.. الذي دخلَ حتى قبل أن يطرُق الباب..

عزيزتي إنجل.. قال رامزي وتابع لقد أنهيتُ أعمالي بِسُرعةٍ من أجل عيدِ ميلادك يا أميرتي

انجل: شُكراً عزيزي هذا لُطفٌ منك كِدنا ننتهي.. أسرعي يامادلين

رامزي: عزيزتي ألا أستحقُ فُنجان قهوةٍ من يديكِ الجميلتين..

انجل:ماكُلٌّ هذا الإطراء دقيقة واحِدة فقط..

ومان أدارت ظهرها انجل حتى اقترب رامزي من مادلين،

كيفَ حالُكِ يا مادلين.. قال رامزي

أنا بخيرٍ ياسيدي.. ردت مادلين

رامزي: ألم أخبركِ أني لا أُحبُ الألقاب.. لتذهب الألقابُ إلى الجحيم...أخبريني هل فكرتِ بما قُلتُ لكِ البارِحة..

مادلين: دعني وشأني ياسيدي

رامزي: سؤعطيكِ نصفَ البيت هل نسيتي أن زوجَكِ أرهنهُ لي قبلَ أن يهرُب..

مادلين: لكننا اتفقنا أن أعمل عندَكُم وأُسددك نقودك..وأنت من طلب ذلك..

رامزي:وهل يكفيكي عُمرٌ واحد لتُسددي فالمبلغُ كبير جِداً

مادلين: سيدي أرجوك دعني وشأني الموتُ أهينُ علي خُذ البيتَ كُله ان شئت واتركني وشأني..

لم يَزد كلامُ مادلين رامزي إلا اصراراً على ماخططت.. فإذا ماالقتُلعت المشاعِرُ من شخصٍ ما فقد اتحدَّ وطبيعَتهُ الحيوانية، التي لا تفهم الا بِلُغةِ الغرائز..

سَمعِ رامزي طقطقةَ حِذاء انجل فابتعد عن مادلين...

اذهبي اليومَ يامادلين وفكري فيما قُلت...

"مادلين" .. قالت انجل.. إلى أينَ أنتِ ذاهِبة..

رامزي: حبيبتي أنا من أرسلها أم تُريديها أن تُفسِد فرحتي بالجلوسِ معكِ..

انجل : انا لا أستطيعُ مُجاراتك.. تعالي غداً يا مادلين.

هزت رأسها مادلين وخرجت.

تَشتُّت

مَن قالَ إن العينَ ترى إنها لا ترى إلا تجلياتنا، على الأماكن والأشياء، وإلا لما كُنا نرى الأماكِن غارقتاً في البُؤس حينما تستَبيحُنا الوحدة ويُعشعشُ في ذواتِنا الحُزن.

فَهيَّ الخُطواتُ ذاتُها والطَريقُ عينُه لكنْ مع اختلافٍ طفيفٍ بالمشاعر!!!

عادَّ أُسامة حامِلاً معهُ وِزرَّ والده، تلك الخطيئة التي لم يعرف كيف تَسلقت على كتفيه.

لأولِ مرةٍ في حياته، أحسَّ بأن الطريقَ لا ينتهي، وأن خُطواتَهُ تدورُ في حَلقاتٍ مُفرغة. لا شئ.. ببساطة عندما تَجتاحُك الخيبة.. يُصبِحُ الدماغُ ثَمِلاً بكأسٍ من التعاسة..

وفي حَربِ التفكيرِ تلك

حطتْ حَمامةٌ بيضاءٌ على كَتِفِ أُسامة.

أُمي..

الأُمُ:ماذا تَفعلُ أيُها الشقي

أسامة: لقد طردوني اليوم يا أُمي، قالوا أن أبي... لا أعلم

لقد تكلموا بالسوء عنه...

أصحيحٌ مايقولون!!

هل خان أبي وطنه!!

ثُمَّ ان كان ماشأني أنا؟؟

قاطعتهُ الأُمُّ مُحاولتاً أن تمتصَّ حُزنه..

وان يَكُن المدينةُ مليئةٌ بالمدارس.. سأضعُك في مدرسةٍ قريبةٍ من عَملي.

عَملك!! قال أسامة وتابع

أُمي أنا من سيعمل، ولن أذهب الى أيِّ مدرسة... ثُمَّ صمت قليلاً...

أُمي هل أبي خائن..

الأم: لا ياولدي هُم كاذبون

سيعودُ أباك لا تقلق..

أُمي.. لا أُريدهُ أن يعود.. قال أسامة.. وتابع.. أنا لا أُحبُّ هذه المدينة لِما لا نذهب نحنُ اليه.

تمالكت الأُم نفسها بمشقةٍ بالغة.. وكابَرت بابتسامةٍ صغيرة وهيَّ تنظُرُ إلى ولدها

نظرتَ العاجِزِ أمامَ فِلذَةِ كَبِدِه

هُروب

بِخُطواتٍ ثقيلة ونَفَسٍ لاهث، هَمَسَ جوزيف بصوتٍ لا يَكادُ يُسمع.. فالنَرتح قليلاً ياسيدي، إنا نمشي منذُ يومٍ وليلة.

الأسقف:امشي ياجوزيف، فأنت أكثرُ ماتكونُ بحاجةٍ للمشي، وإلا كيفَ تُذيبُ هِضابُ الدُهنِ التي تتكدسُ على معدتك...

ثُم تابع الأسقف موجهاً حديثَهُ إلى "شمعون".. كم من الوقتِ نحتاجُ لنصلَّ المدينة.

شمعون: على أبعد تقديرٍ يومٌ أو يَزيدَهُ نصفُ يوم.

الأسقف: لم يتبقى لدينا مايكفي من الشرابِ والطعام.

شمعون: ليسَ مع وجودِ هذا الغولِ ياسيدي، أُرجحُ أنهُ من أسبابِ الأزمةِ الإقتصادية.

.. ضَحِكَ الأُسقف.. ثم قال: أسمعت يا جوزيف، عليكَ أن تتقشف وإلا أصبحنا طعاماً للنسور.

جوزيف: سيدي اني آكُلٌّ بالقدرِ الذي يُبقيني حياً

شمعون: ومالقَدرُ الذي يُبقيكَ حياً أيُها البدين، أعِدُك إن نفذ الطعامُ فأنت أولُ وجبةٍ لي.

ومن غيرِ سابقِ انذارٍ، صَرخَ جوزيف..

سيدي أُنظر.. طيور!!! لا بُدَّ أن هُناك شئٌ ما

الأسقف: أين يا جوزيف أين

جوزيف: في الجهةِ الغربية

الأسقف:من الممكنِ أنها تحومُ فوقَ بِركةِ ماء، اذهب ياشُمعون واخبرنا ماهُناك

شمعون:ان لم أجد شيئاً سأقتلكَ أيها البدين.

مشى شمعون على أملِ أن يَجدَ الماء، لم تكن المسافةُ بالبعيدة.. ومع هذا تجاهَلٌ النظر اليها مباشَرتاً فهذا ما

يُسمونَهُ تكنيكُ المشيِّ في الصحراء.. النظرُ الى الأقدام حيثُ تخطو فهذا لايَجعلُك تَشعُر بطولِ المسافة..لكن هُناك شئٌ غريب..

كُلما اقتربَ الرَجُل، بدت تتكشفُ لهُ سوادة.. وهذا ماأحبطه..
فالماءُ يُعطي زراقاً أو شيئاً مِنَ الخُضرةُ.. اقتربَ شمعون أكثر...
ماهذا !! جُثة.. هل هذهِ جُثة.. قال شمعون مُحدثاً نَفسه..
التفتَ ورائَهُ ليجد الأسقف وجوزيف قد تَبِعوه..
ما هُناكَ يا شمعون.. قال الأسقف منادياً..
شمعون: تائهٌ جَلبتهُ المنيةُ ياسيدي..
وصلَ الأسقف ولا زال شمعون واقفاً فوقَ الجُثة..
لِنَقُم بواجِبنا تِجاهَ انسانيته.. قال الأسقف..
شمعون : ميتٌ ماذا ستفرِقُ عِنده، فالنتابع ياسيدي مسيرتنا.
الأسقف: اذاً سأحفرُ بِمفردي.
جوزيف: انا سأفعل
شمعون: آسفٌ ياسيدي لم أقصد.
الأسقف: لا عليكم فقط ساعِدوني، اقلبهُ وانظُر ان كان لديهِ
اثبات شخصية علنا نستَدِلُ على أهله.
حاولَ جوزيف قَلبَ الجُثة بِصعوبة فقد كان مُكباً على وجهه..
لكنهُ لاحظ شيئاً من الغُبارِ المتطاير عِندَّ أنفه..
سيدي.. قال شمعون: كأنَ فيهِ بقيةٌ من نَفَس
كأنهُ حي... أعطني الماء ياجوزيف... أسرع..
ـفي تلك اللحظة لم ينظُر أحدٌ الى الماء المتبقي.. ولم يفكر
أحدٌ بمشقةِ انضمامِ رَجُلٍ يُعاركُ الموتَ اليهم... كُلٌّ ماحاولوا
فِعله إنقاذُ ذاك الغريب.. هُنا تتغلبُ الفِطرةُ الخيِّرة على
التفكيرات المادية الأنانية.

حَيِّ السبكي

يومٌ رائِع، انظُر حولكَ أيُها الرَجُلُ الصغير،كُلٌّ شيءٍ جميلٍ ينتظِرُ مُنكَ أن تُشاهِده..

_السماء_الطيور_الزبائن_

تنهَد أبا أسعد قليلاً ثُمَّ قال..

اسمع تباً لذلك.. أجملُ شيءٍ هُم الزبائن، يجلُبون لَكَ النقود.. والنقودُ تجلبُ السعادة..حَسناً هذا كُلٌّ شئ.

أُسامة: كم ستُعطيني لقاءَ عَملي.

أبا أسعد: الآن بدأتَ تفهمُ الحياةَ جيداً.. اسمع كُلٌ مِنا يَكَّملُ الآخرَ هُنا.. لذا سؤعطيك أجرَ عاملين.. وان استمريت سؤعطيك علاوةً على ذلك. "لم يكن أُسامة كأي شخصٍ عادي بالنسبةِ لأبي أسعد فكان يُكِنُ لهُ محبةً خاصة.. ومُجَردُ رؤيته كانت تبعثُ في قَلبِهِ السعادة"

أُسامة: شُكراً ياعماه، آملُ أن أستَحِقَ هذا.

أبا أسعد: تستَحق

تَستَحِق، ولكن إن اكتبئتَ سأخصمُ عليك.. فالكئابةُ تطرُدُ الزبائن.ثُمَّ تَبِعها بقهقةٍ عالية. أُنظُر إلى تلك السيارة.. قال أبا أسعد.. ما رأيُكَ بِها.

أُسامة: أظُنها قادمةٌ إلينا فعلى هذا الطريق لاتَمشي السياراتُ بهذهِ السُرعة.

أبا أسعد: اممم سيكونُ هذا الزبونُ على وجهكَ أنت. لِما تَمهلتَ ياعَم.. قالت الفتاة

السائق:لقد طَلبت أمُكِ بعضَ الحاجياتِ يا سيدتي.. لن أتأخر.

السائق: كيفَ حالُك يارَجُل.. أُريدُ من كُلِّ نوعٍ من هذه الفاكِهةِ صُندوق.. كما أُريدُ صُندوقاً صغيراً من الطماطِم.

_ابتسمَ أبا أسعد وقَرَّب الكُرسي الخشبيَّ للسائق.. تَفضل بالجلوسِ أرجوك سيكونُ كُلُّ شيءٍ كما تَرغب...ثُمَّ أضاف

أُسامة إحمل تلكَ الأقفاص إلى السيارة وإحرص على أن تكونَ كُلها من الفاكِهةِ الطازجة.

_كانت رهف مُنشغلة بمُراقَبةِ حَركةِ الناسِ والسيارت من نافِذة السيارة، حينَ سَمِعت صوتاً يقول:أين أضعُ الأقفاص سيدتي...

رَهف:أنت؟؟

ردَّ أُسامة مُستَغرِباً... ماذا... نعم.. هل فعلتُ شيئاً.. !!؟ ..

رهف:ألست من كان في المَدرسةِ في ذاك اليوم..؟

_كان ذالِكَ السؤال كمن يُوقِدُ النارَ في قلبِ أسامة من جديد.. لَكنَّهُ لطالَما اعتادَ على المُكابَرةِ على مشاعِره..

عفواً أين أضعُ الأقفاص، ألا تُلاحظي أنني منذ وقتٍ أحملُها.. قال أسامة بنبرَةِ الغاضِب..."هُنا

بدأ عَقلُ أسامة يستوعِبُ مُعادلةَ الغنيَّ والفقير، اليتيمِ وصاحِبِ القوة.. سَتأخُذُ الدُنيا أبسطَ حُقوقِك إن كُنتَ ضعيفاً..

أما رهف.. فكانت في مُعزَلٍ عن كُلِّ هذه الأمور.. فرؤيةُ أُسامة من جديد كانت مِنحةً لا يُستهانُ بِها..

أُسامة: عن إذنك ياسيدتي..

إنتظر أُريدُ أن أتفحَصَ الفاكِهة.. قالت رهف...

"اقتربت رهف من أُسامة حتى لم يبقى إلا الصُندوقُ الخَشبيُّ فاصِلاً بينهما، وعيناها تبوحُ بأكثر مما يُجيدُهُ لِسانُها"

لم أرك منذ ذلك اليوم..! هل تَركتَ المَدرسة.. قالت رهف

أُسامة: هل تحتاجين شيئاً آخر يا سيدتي.. عليَّ العودة...

"قاطَع السائقُ حديثَهُما... لقد إنتهينا ياسيدتي هذا مانحتاجُهُ.."

أما أبا أسعد.. فأمسكَ أُسامة

من كَتِفه ومشى بهِ..

أيُها الأحمق.. قال أبا أسعد.. ألم ترى كيفَ كانت تُحدِثُك..

فالتذهب الصناديقُ الى الجحيم، يَجِبُ أن تتعلمَ السياسة وأن تكون لطيفاً مع الآخرين..." صمت أبا أسعد لثوانٍ معدودة ثُمَّ قال لَكِنها ستعود يبدو أنها مُغرمةٌ بك... تعال يا أُسامة أُحدثُك عن مغامرات الطفولةِ الخاصةِ بي" كان أبا أسعد يُحاوِلُ أن يُضمدَ جُرحَ أسامةْ بهذه الكلمات.. رُبما لا تفي بالغرض ولكن هذا مايعرِفهُ الرجُل.

يُطرقُ البابُ المُزخرفُ على خجلٍ، طَرقةَ من أرادهُ أن يبقى مُغلقاً.لكن من حَفِظَ التواقيت جيداً، فلن يفوتَهُ أيُّ ميعادٍ خططَ له.. ولن يحتاجُ إلى إشارةٍ ليعلمَ أنَ ماخَطط له قد سَقطَ مرمياً في الشباك.

أُدخلي يامادلين.. قال رامزي..بعدَّ أن فتح الباب

مادلين: أين مدام انجل!؟

رامزي : إنها في الداخِل.. اذهبي إلى المطبخ وأعدي القهوة..

"دخلت مادلين، فيما أغلقَ رامزي الباب فَكُلُّ شيءٍ قد دُبِرَ بليلٍ كما تقولُ العرب"أحست مادلين بالمكيدة، فَكُلُّ شيءٍ هادئ، لا حركة ولاصوت، لاشئ.. هُنا حاولت مادلين الرجوع، إلا أن رامزي كان قد اقترب منها دون أن تشعُر...

وفي خِضَمِّ هذا الذهول واستشعارِ المكيدة، وضعفِ حيلةِ مادلين.. كان رامزي قد حزمَ أمرَّ شَرِّه، غير عابئٍ بشئ.. وبسلوكٍ أشبه مايكونُ لغريزةِ الوحش.. أمسك مادلين وحملها الى الدخل.. أما الأخيرةُ فلم تَعُد تملك إلا الاستجداءات.. ولكن من يستجدي من، والعُهودُ باطِلةٌ بينَ الضبعِ والحَمَل..

إبتعد إبتعد.. تقولُ مادلين ومُجردُ نِطقِها كافٍ ليزيدَ وحشيتهُ وحشِّيةَ.. فلم تَعُد محاورتُها إلا مع الشيطانِ عينه.. فقد تشربت عيناهُ بالعُروقِ الحمراء، وأنفاسُهُ تلهَثُ وأظافِرهُ تستبيحُ جسدَ مادلين النَحيل وتُمزقُ مااعترضها من ثيابٍ كانت بالأساسِ رثةً مُهترِئة...

ولم تفي كُلُّ مُحاولاتها في الهروبِ والتخلصِ من رامزي

فالأمرُ بدا وشيكاً وأنفاسُهُ العَفنةُ تجوبُ ماستحلت من جَسدِ مادلين.. لَكِنَّ شيئاً نغصَ عليهِ مكيدتَهُ، فهاتِفهُ لم يهدأ..

أخرجهُ رامزي من جيبهِ ليرميهِ بعيداً عنه، لكنهُ رأى إسم مُتصلٍ رُبما لا يستطيعُ تجاهُله..كانت العملية عبارة عن ثوانٍ معدودة، لكنها كانت كافيةً لتنتهزها مادلين وتُفلتَ منه... والمكانُ الأكثرُ أمناً هوى المطبخ، لتأخذ سكيناً وتحتمي هُناك.

أما رامزي فبعد أن رأى المتصلَ راودتهُ نَفسُهُ أن يعودَ إلى مادلين.. لكن شيئاً قد أُرسلَ اليهِ، رُبما أفسد كُلَّ ماخططَ لهُ.. حتى أنهُ نسيَ أمرَّ مادلين فخرجَ مُسرعاً.، لتجد الأخيرة فُرصتها في الهروبِ وعدم العودةِ مُجدداً..

كانت الشمسُ وسط السماءِ حينَ نَجت مِنهُ، والغيومُ البيضاء تارةً تحجُبُ أشِعةَ الشمسِ وطوراً تُرسِلُها الى مادلين، التي بدأت تشعُرُ ببعض الهواء البارد الذي يَنسابُ اليها بسببِ الثيابِ الممزقة وهيَ تُلملِمُ ماتبقيَّ منها...

في الطريقِ الى بيتِها، كان ّ الناسُ في
جماعاتٍ صغيرةٍ يَتهامسونَ وبعضُهم
يُشيرُ إلى مادلين..فحيٌّ السبكي حَيٌّ صغير
والناسُ تَعرِفُ بعضَها

...

بدأت دقاتُ قَلبها تزداد،
حتى أن اعتداء رامزي قد غابَ عن ذهنها.
أُسامة... قالت مادلين في نَفسها..
أُسامة.. رباااه لم يتبقى لي غَيرُه..
وشيئاً فشيئاً خرجَ الصوتُ من جوفِها
لتُنادي بهِ عالياً
أسامة ولدي..
ليرُدَّ أحدُ الجموع.. أسامة بخيرٍ يا مادلين...
رَحِمَ اللّٰهُ أباه....
صمتت مادلين..
ليقول آخر... لقد وجدوا جُثتهُ.. لكنها
مُتفَحمة.

السبكي_البذرة

مرتْ نِصفُ ساعةٍ ولم تتكلم !!.. قال رامزي..ثُمَّ أضاف..و ماهوى الشئُ الخَطرُ الذي يُهددُ وجودَنا.

رُستُم: هُناكَ أمورٌ بالغةُ الخطورة، ملفاتُنا تُفتح، أخطاؤنا تُنبش.. لا أعلم إلى متى يستطيعُ حُلفائي أن يُبقوا ملفاتنا مطوية، البارحة أبلغني موظفُ التفتيش، عن تقارير فسادٍ مُرعبة بحقي.. لكنهُ الى الآن يُحاولُ إخفائها..

واذا ماذهبت للمحكمة.. فمئاتُ الدعاوي تُفتَح.. ببساطة هُناك من يحفر لنا على أعلى مُستوى ولن تكتمل سعادتَهُ إلا أن يرانا على المشانق.

رامزي: ماذا في ذلك... "قالها بكِّل هُدوء"

انفعلَ رُستم وضرب الطاولة بيده... ثم قال... ماذا في ذلك؟.. أنا أُخبرُك.. يَقفُ في وجهِ هذا السيلِ كُلهِ رجُلنا الأخير... أتعم إن حدثَ لهُ شئ، سيكونُ المُؤبدُ شيئاً رفاهياً بالنسبةِ لنا.

رامزي: لا تُعقِّد الأُمور ياسيدي، لازِلتَ رجُلَ الحكومة، ولازلت الرجُلَ صاحِب الكلمة.

رستم: وإن يكن!!!

رامزي: تقريرٌ صغير مع دليلٍ تَدُسُهُ في سيارة أحدهم، كافٍ لتأخذهُ للمريخ تذكرةَ ذهابٍ فقط.

رستُم: وتنجحُ الأمورُ بهذه الطريفة.؟؟ هذا أمرٌ هَيِّن.. أتعلم يا رامزي لم يخطُر ببالي ... اسمع اسمع.. هُناك مُشكلةٌ أُخرى.

رامزي: وماهيَّ

رستم: أغرضُ المشفى، قد نفذت

رامزي: هذه سهلة.

رستم: لكنني أُريدهُ كامِلاً وحياً.

رامزي: هذا خطيرٌ جداً!!

رستُم: ولِما أدفعُ لك...

فكرَّ رامزي قليلاً ثُمَّ أجاب ...

اسمع ياسيدي.. الحلُ لدي ولديك...

رستم:ماذا.. رامزي: دعني أُكمل أرجوك.. الاضراباتُ تعصفُ في الضواحي.. وهذا أمرٌ جيد، سيكونُ هُناك مفقودين و قتلى كُثر.. ولن يسأل أحدٌ كيف.. واين..

رستم : وان يكن!!

رامزي: ستأخُذ كُلَّ ما شِئتَ بِشكلٍ مجاني ولكن عليك أن تُرخي قبضتك على الضواحي.

رستُم: ولكن أليس هذا بخطير!!

رامزي : ليس أخطر من جُلوسِنا في السجن.. ثُمَّ إنك تدفع لي لأخبرك ماذا يجب أن تفعل.

رستم: فاليكن اذاً.

أوراقٌ في زوبعةِ السبكي

كانت الوقتُ في تمامِ الواحِدة وخَمسِ دقائق حين مشت رهف غيرَ آبهةٍ بالسائق الذي ينَتظِرُ منذُ مايُقارب الساعة.

و رَغمَ رِقةِ قَلبِها وذكائها إلا أنهُ لم يَخطُر لها أنها وضعت السائِق في موقِفٍ لا يُحسدُ عليه،اذا ما عادَّ من دونِها.

_إنتهزت رهف الإزدحامَ الذي حدثَ على بابِ المدرسة، وتجاوزت مبتعدتاً عن أنظارِ السائق...

كان الطريقُ شِبهَ محفوظٍ بالنسبة لها، لكن ليس هذا ماشَغَلَ فِكرها

فالفِكرُ خَدِّرٌ بِعاطِفةٍ وليدة

لم تستطع كِتمانها.. تلكَ الأفكارُ المُشبعةُ بالمشاعِرِ جعلت الطريقَ قصيراً رغمَّ طولهِ ومَشقتِه.. أما السائقُ فبقيَ كالتمثالِ أمام المدسة ولو أنهُ عادَّ لوجدها على الطريق.. لكِنَّ الخوفَ منعهُ من العودة...

كان أُسامة، يَجمعُ غلةَ اليومِ ويُحصيها، حين غطى طيفُ أحدهم ضوءَ الشمس.

لم يعرف ماذا يقولُ أُسامة حين رفع رأسَهُ، ليجد أن صاحِبةَ الظِلِّ كانت رهف

لكن هُناك كَلمات يُكررها الدماغُ دوماً فَتخرجُ بشكلٍ تِلقائي.

كيف أستطيعُ أن أساعِدكِ سيدتي.. قال أسامة..

أما رهف التي حَزمت أمرَها فقد قررت المُضيَّ للنهاية.

رهف: هل يُمكنني أن أطلبَ مِنكَ بأن توصلني إلى البيت.

ورغم قوة شخصية رهف إلا أن الكلام كان يَخرجُ متقطعاً فهي لم تعلم بعد ماذا تفعل وهل هوى تصرفٌ خاطئٌ أم صحيح.

لم يستطع أُسامة النظر في عينيها... فاحمرَّ خَجلاً ثُمَّ قال ولكن!!!

ولكن ماذا أيها الشقي.. قال أبا أسعد وقد وصل لتوه.. إذهب وأوصِلها ولا تتأخر.

ودون أدنى تَردُد مَشَيا، كَمن يمشي في منامِه، صمتٌ خَجِلْ وكلٌ يبحثُ عن أي كَلمة تُبددُ حاجزَ السكوت،كمن يبحثُ عن أنفاسهِ تحتَ الماء،.. لم يُكُن حُباً ولا خجلاً.. لاخوفاً ولا إنكساراً.. بل مزيجُ كُلِ شئ.

خَفقانٌ في القلب تَشعُرُ بهِ مع كُلِّ نَفسٍ يدخُلُ ويخرُج والتفافٌ بالأقدام.. كأن كُلَ خُطوةٍ تُقتلعُ من باطِن الأرض.

وفجأة إنهارت الحواجِزُ على نفسِها حين نَظَر أسامة لعيني رهف وهَمَّ بالكلام الا أنهُ لم يتكلم.. لِتُنجدَهُ رهف.. اذاً هل كان ذاك الرَجُلُ أباك.

أبي؟؟ لا لا.. قال أسامة..ليس أبِي.. وأنتِ...

أنا مابي؟ قالت رهف..

أسامة: أقصد...

رهف: نعم أبي الذي رأيتهُ بالمدرسة...

ـفي الحقيقةِ لم يرى أسامة ذاك اليوم أباها لكنهُ تجاوز عن ذلك بِهزِ رأسهِ مع ابتسامةٍ خفيفة...

رهف: يجِبُ أن نعبُر الشارع؟ بيتي في الجِهةِ المُقابلة..

ـتسلل شئٌ من الدفئ إلى راحةِ كَفِّ رهف، ثُمَّ تَبِعت الدفئ بلا تَردُد..

لم تَقُل لي أين أباك ولِما لا يَضعُك في المدرسةِ ويعمل هوى مِثلَّ أيِّ أب.. قالت رهف.

أسامة:ليسَ للآباءِ الحظُ ذاته..

وهذا الكلامُ ينطَبقُ على الأبناء.. قالوا لنا أنَّ أبي قد مات.. وأُمي تقولُ أنهُ لم يمُت..لكنهم أحضروا

لنا بِطاقَتهُ الشخصية...

لم يَمُت.. قالت رهف.. الآباءُ

لايموتون... أنظُر بِعيني فقط ثِق بكلامي..

ردَّ أُسامة كالعادة بابتسامةٍ صغيرة.. ثمَّ قال: لنُكمل الطريق..

وأشار بيده، فيما بَقيت رهف واقِفة..

هل هُناك شئ.. قال أسامة

رهف:لا لاشئ لكننا ندورُ حول بيتنا منذ نصف ساعة

سأقولُ لك سِراً اقترب.

ماذا فعلت؟؟ قال أسامة

رهف: لا شئ..تذكرها فقط.

السبكي.. الفتيل

الساعةُ الواحِدة وخمسٌ وثلاثون دقيقة بعدَ منتصفِ الليل، حينَ وقَفت ثلاثُ سياراتِ دفعٍ رُباعي وقد غطت طَبقةٌ من الطين أرقام اللوحات. وقفتِ السياراتُ الثلاث أما مزرعةٍ ذاتِ سياجٍ عالٍ في إحدى الضواحي الجنوبيةِ للمدينة،وقد خَلا المكانُ من أيِّ صوتٍ أو حركة.. لحظاتُ الهدوءِ القليلةِ تلك كانت كافيةً لتُشعِركَ بأن الهُدوء آتٍ من الأزل وما تلك النسماتُ الباردةُ الخفيفة إلا شئٌ من غُبارِه.كانتِ الحياةُ في ذلك الوقت وكَأنها أُجلت إلى ميعادٍ آخر.. فالسكونُ والخوف" كما يُقال هُما ظِلُّ الملك الذي يَحكُم" .

هذا بالنسبةِ لخَارِجِ المزرعة

أما الداخل، فمُختلفٌ نوعاً ما

وتحديداً في الغُرفةِ التي أُغلقت نوافِذُها بِحجارةٍ إسمنتية.

كان بِداخِلِها سَبعةُ رِجالٍ يجلسونَ حولَ طاولةٍ قديمة

قد رسمت عليها سوائلُ المشروبِ، خرائِطَ لِبُلدانِ العالم والعالمِ المُجاوِر..

لكنهم كانوا صامتين أيضاً يكتَفونَ بالنَظرِ إلى بَعضهم البعض معَ بعض الايمائاتِ التي تَبوحُ بِعَدمِ الرضا.

في تلكَ الأثناء، كان صوتُ طقطقةٍ يقترب، ورَغم سماعِهم للصوت، إلا أنهم لم يُعيرهُ اهتماماً حتى أن أحدهم لم يَلمس مُسَدسَهُ، حينَ فُتِحَ الباب.

لِمَ تأخرتَ يارَجُل... قالَ الرجُل (ن)

رامزي: لم أشأ أن آتي برفقةِ سيارةِ الشُرطة، أنتُم تعلمون، كم هوى صعبٌ التنقُلُ لرَجُلٍ مِثلي، ثُم أضاف...

أأُناديكُم بأسمائِكُم في آخِرِ عَملية لَنا!! أم بأسمائِكُم الحقيقية..

(ن).. قُل ما عِندكَ يارَجُل.

(ق)... خلي عَنكَ عناءٌ المُقدمات، وائتي بِها منَ الأخير

رامزي: حَسناً حَسناً أصدِقائي أصدقاءَ السوء.. أنا لم أجمعَكُم من أجل أن أنظُر في وُجوهِكُم البريئة.. فالنظُرُ في وجهِ بائِعةِ هوى أفضلُ بكثير....ثمَّ أضاف.. أصدقائي

كُلُكُم يعلمُ بما تَمُرُ بِهِ البلادُ من اضرابات، لكنكُم لم تَفعلوا شيئاً، يَخدِمُ مصلحَتَنا

وكأنَكُم تُريدونَ مِني أن أفعَلَ كُلَّ شَئ.

ردَّ(ع) وماذا نَفعَلُ يارَجُل، رجالُنا تَخلوا عَنا بسببِ شُحِّ التمويل.. أنت تَعرفُ هذا منذُ عامٍ لم يوضَع في حِسابِنا فِلسٌ واحد، ثُمَّ أنت قُلتَها العُيونُ عَلينا.

رامزي: ذاكَ زمانٌ قد ولى سَيتغيرُ كُلُّ شئ.

(س) تتكلمُ وكأنَك في حَفلةُ عيدِ ميلاد.

رامزي: ليسَ بعد ولكن يَسُرني بصفتي عَرابَكُم الجديد أن أُعلنِ بِدأ الحفلة"يقصِدُ رامزي أنهُ خلفٌ للعرابِ السابق الذي قُتِلَ في ظروفِ غامِضة" ثمَّ تابع.. رامزي..ستجِدون المالَ في صَناديقِ سياراتِكُم بِمُجردِ خُروجِكُم، وبعد يومين فَقَط، سَتَجِدون السلاحَ بِنفسِ الطريقة...

(ع) ولكن السلاح

ليُقاطِعهُ رامزي:دعني أُكمل، بعد يومٍ واحد من استلامِكُم السلاح، ستكونُ الذخيرةُ في حاوياتِ القُمامة، ولكي لانُثيرَ الجلبة صممنا سيارة مُشابِهة لسيارتِ البلدية، لكن توقيتٌ عَملها سيكونُ في السادِسة صباحاً.

(ن) قبلَ بدءِ الدوام تقصد

رامزي:تماماً سيكون هُناك كمياتٌ ضخمة من الذخيرة لن نستطيع العُبور بِها إلا بهذهِ الطريقة... و بالنسبةِ لخيانةِ أحدِكُم، فلستُ بحاجةٍ لأُخبركُم بأن كِلاب الضواحي تُحِبُ اللحمَّ العَفِن.. تعرِفونَ هذا جيداً.

(س).. وماذا ستستفيدُ من كُلِّ هذا

رامزي: وماشأنُكم، تأخذونَ نقودَكُم وتُغلقون أفواهكُم.

(ق).. ومالضامِنُ لنا يارامزي... أقصد.. من قِبَلِكَ أنت.

رامزي:الضامِنُ أن تَخرُجوا من هُنا أحياء، ثُمَّ إني أحتاجُكم، فأين أجِدُ أقذر مِنكُم....إنتهى الكلام سنبدأ عِندَّ إشارتي...

هُروب

في إحدى الغُرفِ الصغيرةِ في فُندقِ "الليمرون"جَلسَ الرجالُ الثلاثة، أمامَ جَسدٍ يبدو أنهُ يلفظُ أنفاسَهُ الأخيرة...لم تَكُن هُناك أيُّ علاقةٍ تجمَعُهم واللغةُ الوحيدة التي ينطِقُ بها الجسدُ الغريب.، هيَ الأنينُ والتشنجُ وسيلٌ من العَرقِ البارد... وإذا ما أردتَ أن تُشبهَهُ بشئ، فلن يُسعفكَ إلا أن تقول، ذاك إنسلاخُ الروحِ عن الجسد.

لم يحتمل جوزيف الموقف الذي فُرِضَ عليهم، ليُشعِلَ حواراً،لَكنهُ حِوارُ اليائسين انتقاداً للواقع، ولا حَلَّ في الأُفق.

جوزيف:لو أننا نستَطيعُ أن نُسعِفهُ الى مشفى، أو نُحضِرَ لهُ طبيب.

شمعون: إلى أي درجةٍ يُشيرُ مؤشِرُ الحماقةِ عِندك..فنحنُ بالكادِ وجدنا غُرفةً تُؤينا، ولو لم نُغري صاحب الفُندقِ بالمال لما إستقبلنا، ألم نتكلم بِقوانين هذه المدينة.. حسناً سؤعيدُها لك.. إنهم يكرهون الغُرباء وليس ذلك فقط بل يطردونَهُم أيضاً.

جوزيف:لكن هذه حالك إنسانية !!!

شمعون:الإنسانيةُ أُحجيةٌ سيئة.. يتكلمُ بِها من لايعرفُ معناها.. هيَّ أشبهُ بأن يُقنِعَ ذئبٌ خروفاً بأن موتَهُ سيخدِمُ القطيع وسيكونُ فداءاً للمرعى.

الأُسقُف: فاليرحمهُ الرب.

كانت نظراتُ الأُسقف، بالغةَ الحُزنِ والأسى، وهوى يُراقِبُ مايعصِفُ بجسدِ الغريبِ من مَرضٌ ومن ألم.

أما شمعون فقد تعودَ أن يقول كُلَّ شيءٍ بدون مُجاملة

:سيدي، أعلمُ أن الأمرَّ صعب، ولكن يجبُ أن نُغادِر.. لا أعلمُ ماذا أقول..

الأُسقف: أكمل ياشمعون.

شمعون:سيدي هذه المدينةُ، تنبذُ الغُرباء، ولا تستقبلَهُم، بالإضافةِ إلى أنها تَعُجُّ باللصوص، باختصار سنكونُ لُقمةً سهلة، اذا ماسَمعت بنا إحدى العصابات.. وما الضامِنُ ألا يُخبرهم صاحِبُ الفُندُق، فقد رأى النقودَ بِحوزَتك.

الأسقف:صدقت، سنرحل إجمعوا أغراضكُم.

جوزيف: الآن؟

الأسقف:دون أيِّ تأخير، لن أُخاطِرَ بحياتِ أحدٍ مِنكُم.

ثُمَّ وقفَ الأسقف وتابع كلامه.. سأنزلُ أمامكم لأوصي صاحِب الفُندُقِ بالرجُلِ الغريب...إتبعوني.

_غادرَ الرجالُ الثلاثة الفُندُق متجهين إلى الميناء ليصعدوا السفينة المُتجهة غَرباً.

وقد اعتادَ الأسقف أن يسلُك هذا الطريق كُلَّ عامٍ أو عامين لجمعِ التبرُعات...لكنَّ الوضع إختلفَ الآن...فَخروجُ الأسقف وجوزيف كان قسرياً من قريتهم التي دُمرت بالكامل، بعد أن استباحتها الميلشيات، أما شمعون فكان في القرية المُجاورة التي لاقت المصيرَ عَينِه، فقُتل الرجالُ والأطفال، أما الشيوخ فقد جُمِعُوا، واغتُصبت النساءَ أمامَ أعيُنهم.. ثلاثُ ليالي من القتل والتنكيلِ بأهلِّ القُرى.. فيما كانَ الأسقف وجوزيف وشمعون الذي لجأ إليهم، تحتَ الكنيسةِ التي هُدِّمت وبقيَ ملجأٌ تحتها ونفقٌ يقودُ الى خارجِ القرية، قد أُعِدَّ قديماً لهذا الشأن...كانَ هؤلاء كُلُّ ماتبقى مِن قُراهم.

_وصلَ الرجالُ الثلاثة إلى الباخرة، التي كان من المُفترضِ أن تُقِلَهُم.. تَقدَّم الأسقُف الى رجُلٍ يعتقدُ أنهُ القبطان،

الأسقف: أُريدُ مكانين على باخِرتك وأُعطيك ثمنَ أربعةِ تذاكر.

القُبطان:أربعةُ تذاكر هذا سعرٌ جيد... إذهب تلى تلك النافِذة"وأشار بيده" وإدفع ثمن تذكرتين فقط، وضع ثمن تذكرتين في جيبي.

جوزيف:ولكن نحنُ ثلاثةٌ ياسيدي!!

الأسقف:إذهبوا أنتم أما أنا فلا.. آسف

لاأستطيعُ أن أتركَهُ يموت،ولا أستطيعُ أن أُخاطِر بِكُم..أرجوكُم فقط إذهبوا..

شمعون:لكنهُ ميتٌ ياسيدي.

الأسقف: على الأقل سأكونُ بجانِبه حينَ يموت..

فقد تركتُ الكثيرين ورائي.

_عادُ الأسقُفُ مُسرعاً إلى الفُندُق،ونظراتُ المارة ترقُبهُ من رأسهِ حتى أسفلِ قدميه.

أماهوى فقد كان ينظُرُ إلى صورةٍ صغيرة، قد وَجدها في جيبِ الغريب وسُرعان ما دَسها بجيبه بمُجردِ دُخولهِ الفُندق، لكنهُ لاحظ شيئاً غريباً، فبابُ الغُرفةِ ليس مُغلقاً..

أسرعَ الأسقف بالصعود ليتفاجئ بصاحِبُ الفُندُق الذي قال لهُ:أهلاً أيُها الأسقف قد تأخرت لكن لا تحزن ستُشارِكُ الرجُلَ مصيرهُ... أحضروا هذا المتدين.. أضاف صاحِبُ الفندق،مُخاطِباً رجُلين كان قد إستأجرهُما.

الأسقف:مهلاً مهلاً.. ألم أعطيك المال الذي طلبته!! مالذي تُريد.

صاحب الفندق:نعم المال ولكن ليسَ كُلَّ المال.. هيا إربطوهُ بجانِب صاحبه..

الأُسقف: ماذا ستفعل..؟

_أمسك الرجُلان الأسقف وقيداهُ على كُرسيٍ خشبي

أما سيف الرجُلُ الغريب.. فقد بدأ يفتحُ عينيه وكأن الحُمى قد بدأت تَزولُ عنه

وهذا ما آنس الأُسقف الذي لم يعُد يعبأ بما يفعلُهُ صاحِبُ الفُندق...

إذهب أنت وأحضر سكيناً.. قال صاحب الفندق.. وأضاف.. وأنت قيد هذا الرجُلَ جيداً..

استجمع الأسقفُ نفسهُ، وصرخَ مُحاولاً استجداء النجدة..

ليردَّ بقهقهة صاحب الفندق.. اليومُ عُطلةٌ عِندنا

ولا نستقبلُ أحداً لذلك خلِّ الصراخَ عنك... قالها وهوى جالسٌ على الأريكة الصغيرة فهوى سمينٌ ولا يستطيعُ الوقوف كثيراً.

أما الغريبُ، فيبدوا أنهُ قد صحا ليقول.. مالذي يحدث، أين أنا!!

أنت في حضرتِ ملكِ الموت ياصديقي.. قال صاحب الفندق.. وأضاف.. موجهاً كلامهُ للرجُل الضخم الذي إستأجره.. إبدأ عَملك.

السبكي.. العزاء

مرحباً ياعَم... قالت رهف..

أأهلاً أهلاً آنستي.. قال أبا أسعد.. كيف يُمكنُني أن أخدِمك..

رهف:كُنتُ أُريدُ أن أسألك عن....

أبا أسعد:أُسامة.. تقصدينَ أسامة..؟

رهف:نعم سيدي أقصدُه، هل إنتقَلَ من الحي..؟

لا يا آنستي لقد تأكدَّ خَبرُ وفاةِ والده، ومنذ ذلك الوقت لم يأتي إلى العمل...قال أبا أسعد.

رهف:ماذا تأكد..؟؟ متى.. أقصد منذُ متى.

أبا أسعد: منذ أكثر من أسبوع... ألم تُعزِهم؟

رهف: لا أعلمُ أين بيتهم أتستطيع أن تدُلني.؟

أبا أسعد: بل أُوصلك إليه.. افقط دقيقة أُغلقَ المحل.

رهف:شُكراً سيدي سؤعطيك عطالتك!!

أبا أسعد:هذه خدماتٌ مجانية لا نأخذُ مُقابلاً يابنتي..

_كان كلام

أبا أسعد مُخجل بالنسبةِ إلى رهف، فلم تتعود أن يُكلمها أحد بطريقة أبا أسعد العفوية والطيبة ضمنَ نطاق حياتِها المُعلب.

_هل تُحبِّيه..؟؟؟قال أبا أسعد

ماذا.. أنا...؟ لا أقصد.. ثمَّ صمتت رهف.

لا يُهم.. قال أبا أسعد وأضاف.. إذا كُنتِ تُحبيه، ففكري كيفَ تُساعديه، وتكوني بجانِبه، ولا تأخذي الأمور من زاوية شخصية..

إسمعي يابنتي"أنا أعرفُ كِلا الفريقين.. الأغنياء والفُقراء، أما الفريقُ الأول، وهوى ماتنتمينَ إليه، فهوى يجعلُ الأمور

دائِماً تَصُبُّ في مصلحتِه، وكم ستجني الأُمور والى أيِّ مآآلٍ تؤُول، حتى العلاقات الإجتماعية، والتي أسماها الحُب، فهيَّ تُحسبُ بالورقةِ والقلم... طبعاً أتحدثُ من وجهةِ نظري..

بينما الفريقُ الثاني...فالعملياتُ الحسابية لاتَعني لَهُم الكثير.. ببساطة لأن القَدر، هكذا أوجدهُم.. لا شئَ ليخسروه،.. هُم لديهم شئَ واحد فقط حَاوِلي ألا تَمسيه"

رهف:ما هوى؟

كرامَتُهم.. قال أبا أسعد وأضاف.. كَرامتُ الفقيرِ إذا جُرِحت.. أتظنينَ بأن شيئاً قد بقىَّ لديهم... لا يابنتي لا يبقى شئ ليعيشوا من أجلِه.

رهف: لا أستطيعُ فهمك سيدي.

أبا أسعد:لا بأس سيأتي يومٌ وتعرفي كل شئ.. ها قد وصلنا...شجرةُ الياسمينِ تلك البابُ الذي تَحتها.

رهف:ولكن ألن تَدخُلَّ معي؟

أباأسعد: كان ذلك من دواعي سروري ولكِنها قصةٌ طويلة يابنتي...

_عادَّ أبا أسعد أدراجَهُ، أما رهف فوقفت بُرهة أمام الباب تَرفَعُ يدها وتُنزِلها..ثُمَّ تَرقُبُ أبا أسعد طوراً.. ماقصةُ الرجُل... إنهُ بائعُ خُضار! هل يمتلكُ القصص أيضاً..؟

_طرقت الباب أخيراً بعدَ أن غاب أبا أسعد عن ناظِرها..

_وفجأة فُتحِ الباب... كانت مادلين متفاجئة.. من هذه الفتاة فهيَّ لم تراها من قبل..

أما رهف فقد كانت أشدَّ استغرابٍ منها،فكانت قد رسمت صورةً مختلفة في مُخيلتِها عن مادلين..التي لم تعرف اسمها بعد. فالسوادُ الذي كانت ترتديه، قد أخذَ مِنها شيئاً، أما شعرُها الطويلُ المُنسدل فقد زادَ الليلَ كُحلاً،وَبالنسبةِ لوجهُها الذي رَسَمَ البدر، فقد غنى غُفوةَ النورِ والظُلمة.

مادلين: تفضلي يابنتي..

رهف:آسفة لخسارتِكُم سيدتي.

مادلين: ذاك قدرُ الله يابنتي، تفضلي بالدخول...

وأضافت مادلين.. هل أنتِ من سُكانِ السبكي..

رهف: إنتقلنا من جديدٍ إلى السبكي، كُنا في العاصِمة.. لكن يقولُ أبي بأن السبكي أأمن...."تفحصت رهف المكان المتواضع، فكُلُّ شيءٍ بسيطٌ وجميل، أما رائحةُ الياسمين فكانت سيدةُ المشهد.. الذي لم يَكمل

فطُرِقَ البابُ من جديد، ولكن هذه المرة بشكلٍ أعنف.

خَرجَ أسامة مُسرعاً، لتقع أنظارُه على رهف، لكنَّ الإلحاح بالطرق، قد أفسدَ عِناقَ العينين...

فتح الباب أُسامة، ليتفاجَئ بحشدٍ من الدَرك...

ناداهُ أحدُهم وكأنهُ الآمِرُ بينهُم.

_هل هذا بيتُ مادلين..

أسامة:نعم سيدي أهُناك شئ؟

_أخبرها أن ترتدي ملابِسها وتجلُب بطاقتها الشخصية.. هُنالِكَ ضبطٌ بِحقها.

السبكي... الفتيل

يَرِنُ الهاتِفُ، في المكتبِ المُعرقِ بِخَشبِ الجوزِ والسُوِّيدِ المحروق، وقد توسطَ الحائِط بين رفينِ من الكُتُبِ القديمةِ، رأسُ وعلٍ مُحنط.تُقابِلُهُ موقدةٌ صَغيرة.

_نعم!! ردَّ رامزي، وعلى الفور تعرَّفَ على صوتِ المتصل.

نعم سيدي أيُّ تعليماتٍ جديدة.

المُتصل:أفرغ قُمامةَ بيتك، في الحاويةِ التي تقعُ باتجاهِ الشمالية.

_حَمَلَ رامزي أكياساً بلاستيكية سوداء ونزَلَ مُسرعاً، كان الوقتُ يُقاربُ الثالثةَ عصراً، وهوى وقتٌ قلما يكونُ فيه أحدٌ في الشارِع، اتجهَ رامزي للمكان، لكن مامن أحدٍ هُناك يكادُ يكونُ الشارِعُ فارِغاً، بإستثناء عاملِ نظافة تبدو عليهِ مَشقةُ الأيام، من ثيابٍ رثةٍ وحذاء مُهترء... وهذا ما بعثَ الخوفَ لدى رامزي، فأغلبُ عملياتِ التصفيةِ تُدارُ بهذا الشكل، ولكن لا خيار... اللعبُ حتى النهاية.

ـأتى الأمرُ بدخولِ الضواحي،.تابِع عَملك ببطئ.. وخُذ الكيس الموجود على اليمين... ستجدُ مهامَكَ القادمة مكتوبةً فيه.. كان الصوتُ يأتي منَ الخلف،لكن لاوجود لأحد.. هل يُعقل أنهُ عاملُ النظافة.... تابع صاحِبُ الصوتِ حديثه...

إبتعد عن رجُل السُلطة، فقد إنتهى دورُه..نظف ملابسك جيداً فالرئيسُ قد بدأ يَشُمُ رائحتك ولا تنسى اتبع التعليمات بدقة ولا تنظر للخلف.

ـمشى رامزي عائداً بأكياسٍ شِبهِ فارغة، لكنها مليئةٌ، بالخوفِ والموت..

جَلسَ على كُرسيهِ المفضل أمامَ الموقدةِ التي بدأت تستعرُ للتو،..فتح الكيس بعد أن تنفسَ الصُعداء، ليجد نصف ورقةٍ فقط.. وهذه إشارةٌ جيدة بالنسبة لِرامزي، فنصفُ ورقة يعني نصف عمل،وعَملٍ مُؤجل، بالتالي دورُهُ لم ينتهي بعد ويستطيعُ المُناورة.. أما ماكُتِبَ فيها فكانَ على الشَكلِ التالي، الرجُل 5 يقومُ بعملهِ ثُمَّ يعودُ إلى البيت..

مِمَا يَعني.. عَملٌ مقابلَ الحياة..

أما التعليمات التالية فكانت،

مجموعةٌ مِنَ الأسماء فقط والمُلفت للنظر أنها غَيرُ ذاتِ أهمية،فكانت لأُناسٍ عاديين جداً.. لا سُلطة لديهم ولا مال.. لكنهُم كانوا من طوائف مُختلفة، وكُتِبَ بجانِبِ كُلِّ اسمٍ حَرفٌ آرامي..

يعرفُ رامزي أن الحَرفَ الآرامي يعني الموت...لكِنَّ هذهِ العملية، تحتاجُ أيادٍ نظيفة للقيامِ بِها، ورجالُهُ أصحابُ سوابق...

لا بأس.. قال رامزي مُحدثاً نفسه.. سأقومُ بالعَملِ بنفسي.

هروب.. التعافي

_كانت الحياةُ تَشُقُّ طريقها بصعوبةٍ بالغة..لكِنها كانت كَشمسٍ من الأملِ في عينيّ الأسقف، الذي لم يُشِح بعينهِ عن الرجُل الغريب..

أما صاحِبُ الفُندق فقد قاطَعَ سكينتهُ قائلاً:أراكَ تُطيلُ النظر، بهذهِ الجُثةِ الحيَّة.. لا تحزن بعد قليلٍ ستكونُ مثلهُ جُثةً، لكن من غيرِ حية... وأتبعها بضحكةٍ عريضة.

الأسقف: نحنُ نُطيلُ النظرَ فيمن نُحب،..كانت نبرتُهُ العَميقة، تحكي الأملَ لكن بطعمِ الوداع... في هذه اللحظات فُتِحَ الباب.. كان الرجُلُ الذي أرسلهُ صاحبُ الفُندق، لكِنهُ مالبث أن سقطَ على الأرض.

أنتم!!! قال الأسقف

شمعون؛ نحنُ أيضا لن ندعَ أحداً يموت، أمسك هذا البدين يا جوزيف،.

انهالَ جوزيف على صاحبِ الفُندُقِ بالضرب والأخيرُ من شدتِ صدمتهِ حتى أنهُ لم يصرخ...لكنهُ أطال النظر إلى الباب.. كان الرجُلُ الضخم واقِفاً مثلَ الجبل لا يعلمُ من أين يبدأ.. هل أعجبك منظري وأنا أُضرب ، إقضي عليهم يابنَ اللعينة.. قال صاحبُ الفُندق..

أما الرجُلُ الضخم.. فبدأ يضربُ الرجالَ وكأنهم ورق

لم يقف أمامهُ أحد، فكان يكفي أن يُمسِك الرجُلَ فيحملهُ فوقَ رأسهِ ويُلقيه,

وأمامَ هذا المارد أحسَّ الرِجالُ بعجزهم، لولا تَدخُلُ سيف في اللحظةِ الأخيرة، وتحطيمِ الكُرسي الخشبي على رأسه، أمسك الأسقف قطعةً من الكُرسي، وضربِ بها صاحب الفُندق"هذا من أجلِ أن تُشارِكهُ المصيرَ ذاته"

أسرع الرجالُ بهالهروب ومشهدُ سيف وهوى يضربُ الضخمَ لا يذهبُ من بالهم

شمعون؛ لقد حجزنا أربع تذاكر ياسيدي والسفينةُ في انتظارِنا.

الأسقف:هذا جيد فقط أسعروا ولا تُكلموا أحداً في الطريق واذا حدثكم أحدٌ فتجاهلوه، الوقتُ ينفذُ مِنا.

_كان الطريقُ مُزدحماً

بإتجاهِ الميناء، فالطريقُ الوحيد الذي يودي إليهِ هوى طريقُ السوق.

وبالعودةِ الى الفُندُق، فقد صَحيَّ الرجُلُ النحيفُ وهرب أما الضخم فلا يزالُ مُغماً عليه..

استيقظ صاحِبُ الفُندُقِ كالسكران، وبدأ يركُلُ الضخمَ ببطنه...

إنهض يابن الملعونة والحق بهم.. قال صاحِبُ الفندق..

وأضاف.. إنك بلا حدوى، سأتصلُ بالشرطة.. تلك أفضلُ طريقةٍ لإمساكِهم.

_كانت المسألةُ لُعبةَ وقت، من يَصلُ أولاً قبل أن تُبحرَ السفينة.

كان الرجالُ الأربعة على وشكِ الوصول بينما كانت أصواتُ دورياتُ الشرطة تقترب، تسلق الرجالُ سلالِم السفينة التي بدأت تتحرك حينَ أوقفها قائدُ الدورية.

السبكي_الاتهام

جَميعُ غُرفِ التحقيق، تتقاسمُ الأشياء ذاتَها،..
كُرسيٌ من الحديد الصَدِء وطاولةٌ توضعُ الأضابيرُ فوقها، بعضُ العصائِبِ المُلقاتِ على الأرض ونُقطٌ منَ الدَمِ المُتحجر.... ولِمُجردِ وقوفِكَ فيها، فأنتَ مُجرمٌ ولو ثَبُتت براءتُك،...

المُحقق: مارَدُكِ على التُهَمِ المُوجهةِ إليكِ يا مادلين.

_استمرت مادلين بالبُكاء والحرفُ لا يكادُ يُخرِجُهُ الشهيق...

المُحقق: لن يُفيدَكِ البُكاء اعترفي بفعلَتكِ، قبل أن تتغيرَ مُعامَلتُنا معك،

كُلُّ الأدلةِ تُشيرُ إلى أَنَكِ القاتِلة، لقد صورتك الكاميرا الموجودة في المطبخ وانتي تحملي سكيناً، كما أنَ هُناك كَاميرا في الطريق، تُظهِرُكِ وأنتِ هارِبةَ من البيتِ...

مادلين: كُنتُ أُدافعُ عن نَفسي لقد حاولَ....

_في تِلكَ اللحظة، يُطرقُ بابُ غُرفةِ التحقيق، كان الحاجِب

فتح البابَ وقال:سيدي في الخارِجِ السيد رامزي

المُحقق: أدخلهُ فوراً.

_أعتذرُ على تطفلي أيُها المُحقق ولكن أنت تعلم فالمقتولةُ زوجتي وحبيبتي إنجل... قال رامزي

المُحقق: أنت تدخُلُ المكان الذي تُريدهُ سيد رامزي..

_هل أستطيعُ أن أبقى مع المُتهمةِ لدقيقة واحدة..قال

رامزي

المحقق: هذا غيرُ مسموحٍ إطلاقاً ولكن ليس لك.

مادلين:لا تترُكني معه إنهُ وحش لا تتركني..

_أولُ مرةٍ أرى قاتِلاً مسكين.. قال المُحقق وهوى خارج.

رامزي: إسمعي يامادلين لن ينفعكِ هُنا إلا أنا، إن وافقتِ على كلامي تَخرُجين معي، وإلا فالدلائلُ كُلُها تُشيرُ إليكِ..اسمعي ترجعينَ للعملِ عندي وتُلبينَ كُلَ طَلباتي ويُطوى كُلُّ شئ، بما فيه عَقدُ البيت..

مادلين: أنت الشيطانُ ذاته..

رامزي: لا يَهُم ليس عندي شئٌ لأخسره، أما أنتِ فلديكِ أُسامةٌ... من يعلم قد يهجمُ اللصوصُ ليلاً، أو من الممكنِ أن تدهَسهُ سيارة، من يعلم قد تضربُهُ صاعِقةٌ ويموت.

أخرجووه.. أخرجوا هذا الشيطان.. صرخت مادلين

رامزي: فكري جيداً سأجعلُهم يؤجلوا التحقيق الى الغد وتُعطيني ردَّكِ.. فكري جيداً..

_خارج قسم الشرطة... كان يَقفُ أسامة ظناً مِنهُ أن أمهُ ستخرج.... تقفُ بجانبهِ رهف التي أخرجت هاتفاً من حقيبتها، وأجرت اتصالاً

أسامة:سأذهب إلى أبي أسعد، لا بُدَّ أن يعرِفَ أحداً ما فيُساعِدَنا..

نعم أبي.. قالت رهف.. أبي أرجوك.. هُناك مشكلة

الأب:أين أنتي، هل السائقُ معك.

رهف:لاتقلق، أبي هناك أحدٌ يحتاجُ مساعدتك لكن ليس أنا.. في الحقيقة هيَّ والِدَتُ صديقتي الوحيدة.. أبي إنها في قِسمِ السبكي..أرجوك ساعِدها

الأب:السائقُ ليس معك، إبقي حيثُ أنتي، سؤرسِلُ السائق.

رهف:أبي أرجوك دعك من السائق أرجوك إن لم تُساعِدها لن أعود للبيت.

الأب:منذُ متى تتحدثي بهذه الطريقة أيتها الشقية.. حسناً حسناً سأفعل، أرسلي لي إسمها.

_أسامة:هل يستطيع؟؟؟

رهف:إن لم يستطع فلا أحد يستطيع..

أسامة:ماذا يعمل؟

رهف:لا شئ موظفٌ حكومي.، هيا نعودُ الى البيت..

أُسامة: ولكن...

رهف:لا تقلق أبي سيتصرف وسأذهب للبيتِ لأتكدَ بنفسي أنهُ سيَحُلُ الأمر... لكن أولاً سؤرافقك إلى بَيتك..

_لم يُعارض أُسامة، ولم تكن لديه أيُّ خيارات مُتاحة...كانت الشمسُ تُرسِلُ آخرَ خيوطِها لتُعانقَ الأرض، عِناقَ المودِّع

لحظاتٌ من الإنطفاء الأخير

لكن، لِكُلِّ إنطفاءٍ ولادةٌ جديدة، بشكلٍ أو بآخر.. كانت ولادتُ الإِنطفَاء.. الإشراق إشراقُ الألم وإشراقُ الحقيقة الحقيقة التي تصفعُك بِكُلِّ ما آوتيت من قوة، أنت ومبادِءُك الساذجة، أنت وإنسانيتك، التي لم تعد موجودة إلا على أفواهِ المُنافقين...

_كانت الخطواتُ ثقيلة، والكلامُ مُبعثرٌ في كُلِّ مكان لكنهُ كشظايا الزُجاج، جمعهُ أصعبُ من نُطقِهِ ونطقَهُ جارحٌ أكثر من لملمته.

لقد شارفنا على الوصول،لقد أطلنا الطريق سأعودُ أنا الى البيت.. قالت رهف..التي أصرت على المشي في الطريقِ الطويل، ظَنتاً منها أنهُ بإستطاعتها أن تجدَ طريقةً تُخفِّفُ أَلَمَهُ بِهَا

أما أسامة فلم يَسمع ماقالته، ظَلَّ ماشياً كالذي يَمشي في نومِه... غادرت رهف.. ووصل أُسامة بَبيتَهُ وركى رأسهُ على بابِهِ المُقفل... لكِنهُ لم يَكُن كذلك..

السبكي... الفتيل

_بدأت الأحداثُ تَتَصاعَدُ في السَبكي، بشكلَ جُنوني، فكانَ النهارُ يلبَسُ ثوبَ الإحتجاجات أما الليل، فكانتِ الإغتيالاتُ والمؤامراتُ من طُقوسهِ التي لم تُفارِقه.

_فقد كان كافياً أن تفتحَ بابَكَ في الصباح، لتَجِدَ جُثتاً مُلقاةً أمامَه، أما الأسبابُ لذلك فَقَد كُتِبت على الحائِطِ المُقابل بِخطٍ عَريض، وبإشارةٍ الى المسؤولية إحدى طوائِف السبكي، بأنها شَعبُ اللّه المُختار، وعلى الجميعِ تقديمُ قرابينَ الطاعة... ولَمَّا كَانَ من الصعبِ على عاقِلٍ تَقَبُلُ فِكرةِ" القاتِلِ الذي يُشيرُ إلى نَفسِهِ، فإنَّ للعقلِ الجَمعِي رأيٌ آخر، فهوىَ ميالٌ لقبولِ واعتقادِ أيِّ شيءٍ يُهددُ وجودَهُ و بالتالي كان مِنَ السهلِ جداً غَزلُ الفتنةِ التي بدأت تلتهمُ كُلَّ شيءٍ في طريقِها كَكُرةِ ثَلجٍ تَدَحرَجت من سَفحِ جَبَل" .

ـيرِنُ هاتِفُ السيد" رُستم"ولكن لا وجودَ لِرقم...فيتمهل قليلاً في الرد لكن من يَعلم قد يكونُ أحدَ المسؤولين.

ـنعم من المتكلم... قال رُستم

أنا يا سيدي... قال رامزي...

رستم: أينَ أنت يا رَجُل ولِما أنت مُختفي تعالَ حالاً إلي.

رامزي: في الحقيقة لدي عتبٌ كَبيرٌ عليك..

رستم: لا أذكُرُ أني فَعَلتُ لكَ شيئاً.

رامزي:نعم فقط أخرجتَ قاتِلةَ زوجتي من السِجن.

رستم:ماذا تقول لم أُخرج أحداً، ثُم ما أدراني بمقتَلِ زوجَتِك، كُنتُ على الأقل قُمتُ بواجِبِ العزاء.

رامزي:لكنكَ فعَلتَ ياسيدي.. هل فعلتَ ذلك خوفاً على مشاعِرِ إبنتك المُغرمة بإبنِها.

رستم: ماذا تَحسبُ نفسك تقول، ثُمَّ ماشأنُكَ بإبنتي.. هل تُراقِبُها. "كان رامزي يبحثُ عن الأسباب التي تَدُبُ الخلافَ بينهُ وبينَ رُستم، وهاقد أتت على قَدَميها"

ـتابَعَ رُستم كلامَهُ:حاوِل ثانيتاً مُراقَبة ابنتي وسأقتلعُ عَينيك.

رامزي: قد قُلتُ ماعِندي، ولَكِن إذا أردت أن تُطوى تِلك الصَفحة، فاسحب كَفالَتك، وأعدها إلى السِجن، أو تصرف تلكَ مُشكِلَتُك.

رُستم:مُنذُ متى وأنتَ تتحدَثُ معي بتلكَ الطريقة أيُها الوغد، أعِدُكَ بأن تلحقَ زوجَتك.

ـلكن قَبلَ أن يُكمل رُستم حديثَهُ كان رامزي قد أغلق الخط.

_السبكي.. "مُجردُ ردِّ اعتبار"

إزدادَ تَعلُّقُ أسامة بِرَهف،وخاصتاً بعد أن ساعَدت والِدَتَهُ، فأصبحَ شِبهُ المستحيلِ أن لا يراها كُلَّ يوم، إلا أن البدايات دائِماً تَحمِلُ في رَحِمها النهاية.

_كانت الساعة الواحِدة وخمسٌ وأربعونَ دقيقة،حينَما توقَفت سيارةٌ أمنية أمامَ رَهف التي كانت تَقصِدُ في ممشاها أسامة الذي بِدوره ينتَظِرُ أمامَ المدرسةِ خروجَها

_نادى أحدُ الحُراس: آنسة رَهف.. إصعدي في السيارة.

رهف: أبلغ أبي أني سأعودُ بمفردي.

الحارس : هذه أوامِرُ أبيكي فالتَصعدي اذا سمحتي.. أما أنتم... وأشار بيَدِه إلى العناصِرِ الموجودِينَ مَعه... _أدِبوا ذالك اللعين.. وأشار إلى أسامة.

وقفت أمامَهُم رهف... وقالت لن تفعلوا شيئاً.. أما الحرس فكانوا قد عَزموا أمرَهُم. فالأوامِرُ هيَّ الأوامِر..

تجاوزَ الحَرَسُ رهف،وشَرعوا بِضربِ أسامة الذي حاول الدِفاعَ عن نَفسِهِ ولكن دونَ جَدوى،...أما رَهف فلم تَجِد وسيلةً تُدافِعُ بِها عن أُسامة إلا أن تُحَدثَ والِدها، لكِن والِدَها الذي خَبِرَ غَباءَ عناصِره قد وَصلَ قبلَ أن يَرنَ هاتِفُه...

ماذا تَفعلونَ أيها الأغبياء.. قال أبا رَهف بعدَ أن استرجَلَ من سيارَتِه، ثُمَّ أمسكَ قائِدَ الحرس... أأنتَ غبي.. قال أبا رهف وتابع... ألم أُخبركَ أن تفعل ذلك بعيداً عن رهف.

ردَّ رئيسُ الحرس: لم نَجِدهُ في المَحلِّ ياسيدي، ولم نعتَد أن نَرجِعَ إليك خالي الوِفاض...

إصعدوا السيارة واغربوا عن وجهي ياعديمي الفائِدَة.. قال ابا رهف.

أحسَّ أُسامة بالمُصيبة فأسرَع إلى أبي أسعد الذي جَلسَ على كُرسِيهِ الخشبي الذي يُقَدِمُ للزبائن عادتاً، ولكن هَذِهِ المَرَة، لن يُقَدِمَهُ إلى أحد، فقد كان الناحي الوحيد من المعركَة، والَّتي كَانت من طَرَفٍ واحد.

كان المَحلُ مُغلَقاً، وصَناديقُ الفاكِهةِ مُحطمةٌ و مُلقاتٌ على الأرض أما باقي البِضَاعَة فكانت في كُلِّ مَكانٍ، إلا داخِلَه.

... أبا أسعد هل أنت بخير..

قالَ أُسامة من بعيد قَبلَ أن يَصِل.

بخيرٍ ياوَلَدي.. قال أبا أسعد.. وأضاف.. الحمدُ لله أنهُم لم يَجِدُوك، لقد بَحثوا عَنكَ في كُلِّ مَكان.

أسامة:لا تقلق عماه.. سَوْعيدُ كُلَّ شيءٍ إلى مَكانِه.

أبا أسعد:لا تُعد شيئاً ياوَلَدي.. فقد شَمعوا المَحَلَّ بالشَمعِ الأَحمر.. وأمضُوني على تَعَهُّدٍ.. بألا أقرَبه... اذهب أنت قَبلَ أن يعودوا...

أسامة؛ لقد سَببتُ لَكَ المتاعِبَ يا عَماه...

أبا أسعد؛ لا عَليك، المتاعِبُ سَتَحدُث بِكَ أو بِدُونِك.

كان أبا أسعد مَصدوماً، فلم يتوقع أن يَحدُثَ هذا مَعَه.. لَكِنَهُ كان مصدوماً من حَجم دائِرَةِ الخَطَرِ الوقِعِ بِها أُسامة...

_مشى أُسامة وكُلُهُ أملٌ أن تكونَ أُمُهُ بِخير.. فما المانِعُ مِن أن يؤذوها..

أسامة... نادى أبا أسعد...

ردَّ أُسامة بإنكسارٍ شديد.. نعم عَماه..

إبتَعِد عن تِلكَ الفتاة.. قال أبا أسعد.. ليس من أجلي... ولكِنَهُم مُجرِمون.

هروب...

إثنا عَشَرَ ميلاً للحياة.

ذَهَبَ مِنَ الليلِ نِصفُه، واستَقَرَ القَمَرُ مُرسِلاً بَرِيقَهُ إلى السفينةِ، في قُبةِ السماء، حيثُ الغيومُ تحجُبهُ أحيانا َ وتُرسِلُه أحياناً أُخرى، كأنها تُريدُ أن تَقولَ شيئاً للسفينة المُترنِحة.

ـفي داخِلِ السَفينة، وتحديداً في الحُجرةِ القريبةِ من الرُبان، كان الضوءُ خَافِت، فَعَلقوا فانوساً في السَقفِ الخشبي، يَرقُصُ كَيفما مالَت السَفينَة.. فإذا لم يَكُن لَدَيكَ ماتتكَلَمُ به، فيكفي أن تنظُرَ الى الضوء البُرتُقالي الخافت، ليتكلمَ بِدَورِهِ عَنك.. أما اذا كُنتَ بِرفقَةِ جوزيف.. فهوى يتكلمُ عن الجميع.

ـنحنُ محظوظونَ جِداً يا سَيدي، فقد نجونا من الموت، وسنكونُ على الشَطِّ بِحلولِ ...

إصمت يارَجُل:فنحنُ في هِجرةٍ غَيرِ شَرعية، ولا نستطيعُ أن نَقولَ نَجَونا إلا أن ننجونا بالفِعل..

ـنَحنُ نَسيرُ في رعايةِ الرب وهذا يكفي ليجعلكَ مطمئناً.. فالقادِمُ مكتوبٌ ومَقضي...رَدَّ الأسقف ليصمِتَ الجميعُ على وَقعِ كلماتِه..... .. إلا طفلَةً رضيعةً في حُضنِ أُمها.. فهي لم تهدأ منذ ساعات المساءِ الأولى..فالجوعُ والمَشقةُ لم تُبقي في صَدرِ أُمِها مايُسكِتُ صُراخَ الطِفلة التى كانت مع أُمها آخر الناجين مِنَ المحرقة، وبالنسبَةِ للأنينِ الذي يُسمعُ مِن آخِرِ السَفينَة فقصتُهُ تعودُ للعجوزِ الذي أُغتصبت حَفيدَتُاهُ التوأمُ، أمامَ عينيهِ وَقد قامُوا بِتقييدِهِ بِثيابِهن، وكُلما أشاحَ نظرهُ، كان أحدُهم يُمسكُ رأسهُ ويُجبِرَهُ على النظر..

فلم يَجد بَديلاً مِن الهُروبِ بَعدَ أن قاموا بِقتلِهنَّ تتويجاً لنهايةِ إجرامِهم،.. في الحقيقة تلك السفينةُ تُشبِهُ سفينةَ الطوفان العظيم إلا أن الأخيرة حَملت الأملَ بالحياة والأولى حَملت الألَمَ من الحياة وتحتَ كُلِّ كَلمة معانٍ لا تَنتهي من الخوفِ والحِرمان.

ـ كان سيف يُفَتشُ في جِيوبِه والأسقف ينظُرُ إليه، حينما سَمعَ الجميعُ صوتَ إطلاقِ النَّار،وفي ثوانٍ مَعدودة عَمت الجَلبةُ المكان، وإجتاحَ الصُراخُ السفينة...لا شئَ مَفهوم، للحظةِ التي نادى بِها أحدٌ عُمالِ السفينة، إنهم مخابَراتُ أجنبية... ومن الممكن أن لايكونوا كذلك لكنَ مفاهيمُ وأسماءُ الخوفِ، قد حُفِرت في الذاكِرة.. وماهيَّ إلا لحظاتٌ وأعلنت السفينةُ المُتعبةُ بمُسافريها عن رَغبَتها في الاستراحَةِ إلى الأبد.. فالماءُ قد وصَل للرجُلِ العجوزِ وهوى مِثلُ السفينةِ غيرُ مُبالي... أما الأسقف ومن معه، فسارَعوا باخراجِ المُسافِرِين الى ظَهرِ السفينة، حيثُ وقف الرُبانُ قائلاً:السفينةُ تَغرق والشاطِئ لازالَ يَبعُدُ إثنا عشرَ ميلاً، فمن يستطع السباحة فالضوءُ البعيدُ سيُرشِدُه...

_أخرَج الأسقف من جَيبه الصورة الصغيرة ثُمَّ قال:: هذا ماكُنتَ تَبحثُ عنهُ ياولدي.. اذا قُدِر وعُدتَ فَقُل لها أني لا زِلتُ أُحِبُها وأنها لا زالت إبنتي..

وفي دَهشَةٍ شديدة وعدم استيعاب... كيف يُمكنُ أن تكونَ أنت.. قال سيف.

لا وقت لهذا... كانت التقاليدُ في عُقولِ القطيع أقوى مِنا لذا لم أستطع أن أسامِح زواجَكُم...

_بذأت تتلاشى السفينةُ في الماء وهَدأت الطفلةُ في حُضنِ أُمها التي احتضنتها بأقوى ماتملك،لحظاتٌ للنهاية لحظاتٌ للموت، لحظاتٌ ويُسدَلُ السِتارُ الى الأبد...

في لحظةِ اليأس.. نظرت الأُم إلى سيف.. خُذها.... قالت الأم... خُذها.. أرجوك... فقط أوصلها الى الشاطئ وارمها.. ضعها في أيِّ مكان.. لا أُريدُها أن تموتَ مَعي.. أرجوك

_كان الماءُ قد شارَفَ على ابتلاعِ السَفينة حين أخذَ سيف الطفلة الصَغيرة.

السبكي..رحيلٌ ولَّكن

لم يَكُن الوَقتُ، الذي يَمُرُ مُجَردَ وقتٍ يَمضي وحَسب. بل كانَ جبَلاً جاثِماً على صَدرِك، تَشعُرُ بذاكَ الثِقَلِ معَ كُلِّ نَفَسٍ يَدخُل ويَخرُج...

_يَجِبُ أن نَرحل، قالت مادلين دون أن تنظُر في وجه أُسامة...فلم يَعُد أحدٌ يملك القوة لينظُر في عيني الآخر.. كان شيئاً شبيهاً بالإنطفاء .. شئٌ تقتَلِعهُ من الجُذورِ... وترميهِ يَباساً ليُصبِحَ لُعبَةَ للريح... والأمانُ الذي كانَا يَظُنانِهِ جِداراً عالياً، في الحقيقةِ، كان جِداراً وَلَكن من دُخان.

_ماذا إلى أين ولماذا.. ردَّ أسامة.

مادلين:ولماذ يجبُ أن نبقى والِدُك قد مات ولا أعلمُ متى يأخذوني مُجدَداً في جريمةٍ لم أصنعها،ثُمَّ ماذا عن تحطيمِ مَحلِّ أبي أسعد وماذا عَنك لم يَعُد لدينا مانَبقى مِن أجله، ثُمَّ إني قد..

اتفقتُ معَ أبا أسعد، سيكونُ الرحيلُ غداً صباحاً.

_لم يَجد أسامة شيئاً يُجادِلُ به، فَمادلين مُحِقةَ بِكُلِّ كَلمةٍ قالَتها...وفي النهايةِ، سيَدفَعُ أحدٌ ضريبَ كُلِّ شئ...وبالنَظَرِ إلى رهف، فإنها تستَحِقُ الوداع....لم يتردد أسامة ولم يُجادل أُمه.. رحيلٌ!!! رَحِيل!

فقط مشى باحثاً عن رهف في وجوهِ القادمين من ضاحيةِ مدارِسِ السبكي.. علها تكونُ بينهم عَلِّ السائق لسببٍ ما لا يأتي اليوم، وان كانت قد ذهِبت، فاللمكانِ حَقُّ الوداع،.... قال أسامةَ مُحدثاً نَفسَهُ.. الآن فَهِمت ما مَعنى أن تُشبِعَ عينيكَ من شيءٍ ما... ببساطة، أن تنظُر إليهِ لتتعمقَ بأدقِّ تفاصيله أن تَغرَقَ بالتفاصِيل.. وبتعبيرٍ آخر أن تَصلَ إلى الحَدِّ الذي بِهِ تتنفَسُ عينيكَ ماتَراه.

_أسامة!!

_رهف!!

كُنتُ أبحثُ عنكِ، حَمداً لله أني وَجَدتُكِ.... قال أسامة.

لما أنت هُنا لا يَجبُ أن تأتي، لا أُريدُ أن يراك أحدٌ من رِجالِ أبي... قالت رهف.

أسامة:لم يُعد لذلك معنى... سَنُسافِرُ غداً..

رهف: ماذا هل جُننت، هل تَهذي.. اسمع تلك السيارةُ القادِمة فيها رِجالُ أبي.. ارجع إلى البيت، سأراكَ غَداً...

أسامة:أنا لا أهذي غداً. لتضع رهف يدها على فمه...وتقول: غداً سأراك.. ارجع قَبلَ أن يَصلَوا....

_لم يَجد أسامة بُداً مِن العودة... كان يقول رُبما هكذا أفضل على الأقل لم يَكُن وداعاً هوليودياً.. ستراني غداً لكنها لن تراني... هكذا أفضل، وداعٌ بِطعمِ الأمل..

لا بُدَّ أني تأخرت على أُمي...

_كان طَريقُ العودةِ سَريعاً.. لكن.. ماذا تَفعَلُ سياراتُ الشرطةَ أمام البيت.. هل يُعقَل أنهم أتوا من أجلِ تِلكَ القِصة... يَجِبُ أن نَرحلَ بأسرَعِ وقت... قال أسامة مُحدثاً نَفسَه...

_ستكونُ بخيرٍ يا أُسامة... قال أحدُ الحاضرين.

_كانت نظراتُ الناسِ تحكي الشفقةَ والحُزن.. وكأنَ فاجِعةً حَلَّت.

_أسامة؟؟ .. نادى من بعيدٍ أبا أسعد... أين كُنت.. لا وَقتَ لَدينا يجِبُ أن نُسرعَ إلى المشفى...

أسامة:ماذا هُناك أين أمي؟

ألا يَعلمُ أن أمهُ قُتلت... قال أحدُ الحاضرين بنبرةٍ هادِئك، لَكِنا كانت كافية لتُسمِعَ أسامة...

__قَبل ساعة ونصف__

_كَيفَ دَخلت.. مالذي جاءَ بِك.. قالت مادلين بخوفٍ ودَهشَة.

_أنسيتي أن لي نِصفُ البيت، ويَحِقُ لي أن آتي إلى بَيتي....قالَ رامزي، وهوى يَقتَرِبُ من مادلين...

وأضاف.. هذه المَرة لن يكون هُناكَ هواتِف، وولدُكِ لن يَرجِع بأقلِّ من ساعتين.. لذا فالنُنهي كُلَّ شئ..

أنتَ مَن قَتلَ إنجل..قالت مادلين وهيَ تحاولُ الصعودَ على الدَرجِ الذي يودي إلى الطابِقِ العُلوِّي..

_لايَهُم، سَبَقَ وقُلتُ لكِ أنا مَلجَؤكِ الوحيد، فقط اقتربي وكَفاكِي هَرباً... قالَ رامزي

أما مادلين التي استمرت بالصعودِ.. فلم يَعُد يَهُمُها شئ فقط تتخلص من هذا السافل وتُسافِر مع ضوء الفجر..

_سيأتي أسامة.. قالت مادلين.. إذهب أنت اليوم، وغداً سآتييك إلى بيتك..

_لا أسامة سيتأخر قليلاً فهوى في حَفلةِ وداعٍ مَعَ ابنَةِ المسؤول... ثُمَ ألن تُسافِرينَ غداً... قال رامزي وأمسَكَ مادلين التي كانت مذهولةً من كَلامِ ذاك الشيطان...

_لَقَد فاتكِ شئٌ يا حُلوتي... قال رامزي وهوى يُمزقُ ثيابَ مادلين...فَطُرُقُ التَهريبِ كُلُها تَحتَ راحتِ كَفي، كما أنتِ الآن... ألم يُخبركِ أبا أسعد لِما كانَ يتأجلُ موعِدُ سفَرِكُم، أنا من كانَ يُؤجلُه.. وأنا من أخَذَ زوجَك، وأنا مَن قَتَله... قال رامزي وهوى يَفعَلُ فِعلَتَه، حتى أسامة لَن يَسلَم مِني إن لم تَكوني لي.

_كانت مادلين تُحاولُ الصُراخ والإفلاتَ بِشَتى الوَسائل، وفي سَكرةِ نشوة رامزي، أفلتت مادلين يداها، لتضع أصابِعها في عينيه، مما أصابَهُ بنوبةٍ هيستيرية مِنَ الغَضَب، عَاادَت على مادلين بِالضَربِ والوَحشية، لَكنَها إستغلت جنونَهُ، لِتُفلِتَ مِنهُ وتَرجِع، لَكن مافاتَها أنها رَجعَت في الفراغ، فَقَد إنتهى حَيّزُ الدَرَجِ الصَغير.. لتَسقُط مَرمياً على رأسِها.. ويلوذُ رامزي بالفرار.

بَعد سَاعَتين مِنَ الحادِثَة

قالوا بأنهُم لن يَقوموا بالعَمَلِ الجِراحي، إلا إذا دَفعنا مُسبقاً في الصُندوق... قال أسامة

أبا أسعد:لا تَقلق أعرفُ شخصاً يُعطينا المال الذي يَلزم.

أسامة؛ فالنُسرِع اذاً

قال أبا أسعد وهوى يَهلث:؛ هاقَد وصلنا وَصلنا..

_كان رامزي متوتراً واقفاً على بابِ بَيتِهِ...

هاه سيد رامزي.. كيف حالك. قال أبا أسعد.. وأضاف، لن أُطيلَ الحديث، إنني بحاجةٍ إلى عَشرةِ آلافِ دولار..فمادلين بينَ الحياةِ والموت..ولا وَقتَ لدينا نُهدِرُه

_أما رامزي فَلم يَرُد على أبا أسعد، فقط نظَرَ في وجهِهِ و ظَلَّ صامتاً.. إلى أن رَنَّ هاتِفُه.. قال المُتصل؛ لَقد تَمَّ الأمرُ ياسَيدي.

أ أ أ أهلاً أبا أسعد، على الرَحبِ والسِعة.. لا تُؤاخذني كُنتُ مُشوشاً قَليلاً، سؤحضِرُ لك المبلغ.. أحضرَ

رامزي المبلغ وعلى غَيرُ عادَتِه فلم يَضع عليهِ أيُّ فائدة..

_كانَ الأدرنالين يتدفقُ من جَديد في عُروقِ أسامةَ الذي عادَ مُسرعاً بِرفقةِ أبي أسعد بعد أن استقلوا سيارةً كانًا قد استأجراها..

_هيا ياعَم إدفع أنت في الصُندوق وأنا سؤخبِرُ الأطباءَ أن يَبدَؤا العَمل..

_كانَ المَمَرُ إلى مَكتَبِ الأطباء، بِجانِبِ غُرفَةِ أُمه..

حينها رأى أسامة ممرضتاً تُخرِجُ أُمَهُ على السَرير المُتحَركِ، مِمَا أدخَلَ الفَرَحَ إلى قَلبِه.. إنهُ المال، لَقد فَعَّلُوا المَبلَغ.. لَكن أينَ الأطباء المُرافقون..

مِن فَضلك... قال أسامة مُنادياً المُرضة وقد رَكَضَ مُسرعاً إليها.. أين الطبيبُ الذي سَيقومُ بالعملِ الجِراحي

أيُّ عَملٍ ياسَيدي.. قالت الممرضة وأضافت...لَقد ماتت.

إنتقامٌ بِطَعمِ الخيبة

يولَدُ الطِفلُ باكياً... في الحَقيقَة، تِلكَ حالةٌ طبيعية، فما صُراخُ الطِفلِ، إلا مُحاولة للتنفُس،وَقد ظَنَناها حِكراً على الأطفال، لَكن عِندما كَبُرنا، أيقنا أننا نَصرُخُ مِثلَهُم أيضاً لا لأجلِ شئ فقط لِنَتَنفس.

ـمَرت أيامُ العزاءِ بِبُطئٍ شديد،و الشَخصُ الوَحيدُ الذي كانَ موجوداً في العزاء هو أبا أسعد، أما بقيةُ الناسِ فلم يَحضُر أَحد، وخاصتاً بَعدَ أن سَمعوا أن مادلين إغتُصبت قَبلَ أن تُقتل، فقالوا بأنها كانت تعمَلُ هذا العَمل بملئِ إرادَتها..

في الحَقيقَة لم يَهُم أسامة إن حَضرَ أحدٌ أو لم يَحضُر، فَهُناكَ مَخاضٌ منَ الأفكار، في عَقله، هذهِ الأفكارُ لم تَكُن إلا أفكارَ إنتقام...أخرجَ أُسامة مُسدساً يَعرفُ بأن أباهُ كانَ قد دَفَنهُ في حوضِ شجرةِ الياسمين، كانَ المُسدَسُ شِبهَ مُهترءٍ مِن الصدأ، لكن لا مُشكلة، هو ليسَ للحرب، فقط رصاصتان ستَفيانِ بِالغَرض،سَتَكونُ الأولى في رأسِ صاحِبِ المَشفى، الذي رَفضَ أن يُجري العملَ الجراحِي، والثانية في رأسِ قائِدِ الشُرطة، الذي أغلقَ القضية، رَغمَ أنَ الطبيبَ أكدَ أن هُناكَ حالةُ إغتصاب..

إنقَشَعَ الليلُ بَعدَ ساعاتِ طويلة، لم يَعرف بِها أسامةَ طَعمَ النوم.

_كانت وساوِسُ تِلكَ الليلةَ كَفيلة، لأن يموتَ شخصٌ ويحيا آخرٌ مَكانَه.

_لَم يَعرِف أسامة كيف وَصلَ للمشفى، ومُنذُ متى وهو يَمشي، فباحَتُ الشُعورِ خَدِرة والفِكرُ مُتخَمٌ بأفكارِ الإنتقام

لكن هذا لم يُنسِه بأن يُخفي المُسدس بل أنساهُ الدخولَ من بابِ الزيارات العادي،..

هَل لديكَ سلاح.. هل أرسلك الحارسُ الأول للتفتيش عَن السلاح.. قال حارسُ بابِ التفتيش الثاني...

أسامة:؛ لا لايوجَد ولكنني شَردتُ فقط.

حَسَناً بما أنَك أتيت، أُدخُل مِن هُنا... قال الحارس.

_تلك كانت المُصيبة بالنسبةِ لأسامة ولكن لا يَستَطيعُ الرُجوع....

توقف تَوقف... قالَ الحارس

لَقد أعطى الجهازُ إنذاراً..

واقتَرَبَ من أسامةَ،ثُمَ صَمت لِبُرهة..

هههههه.. يارَجُل ألم تُلاحِظ أنكَ تَرتَدي نِطاقاً بدسةٍ حَديدية... قالَ الحارس واضاف اذهب اذهب

_ردَّ أسامة بابتسامةٍ ميتةَ وتابَعَ مَسيره، كانَ يَعلمُ إلى أينَ يَذهبُ بالضبط، المَكتَبُ الكبيرُ الذي أمامَه.

_إلى أين أيُّها السيد... نادت السكرتيرة.

.. لَديَّ موعِدٌ مع صاحِب المَشفى.. قال أسامة وتابَعَ مسيرهُ غَيرَ آبهٍ بِها..

أمسكَ المُسدسَ على عَجلٍ وفَتَح البابَ باحثاً عن غَريمه

لَكِن ماكانَ لا يَعرِفُه أن صاحِبَ المَشفى هو نَفسُهُ والِدُ رَهف.. التي كانَت بِجوارِه

_ماذا تَفعلُ أيها المجنون... قال صاحِبُ المَشفى..

فالتتشاهَد أيُها اللعين.. قَالَ أسامة

_أسامة هذا والِدِي، أجُننت مابِك..

وفي الختام...

ما رأيتموه ليس سوى بدايةٍ بسيطة ولمحةٍ عابرة من مجريات الأحداث.

أما الأسرار الخفية والغموض الأعمق والمفاجآت التي لم تُكشف بعد، فتنتظركم في الجزء الثاني.

ترقّبوني لتعيشوا تجربةً مليئة بالإبداع والتميّز والتشويق، حيث تتداخل الحقائق بالألغاز وتنكشف خيوط لم تكن في الحسبان.

غَالِبَاً مَا يَكُونُ مَا نَبْحَثُ عَنْهُ
مَوْجُودًا أَمَامَ أَعْيُنِنَا